حوليات الجامعة التونسية

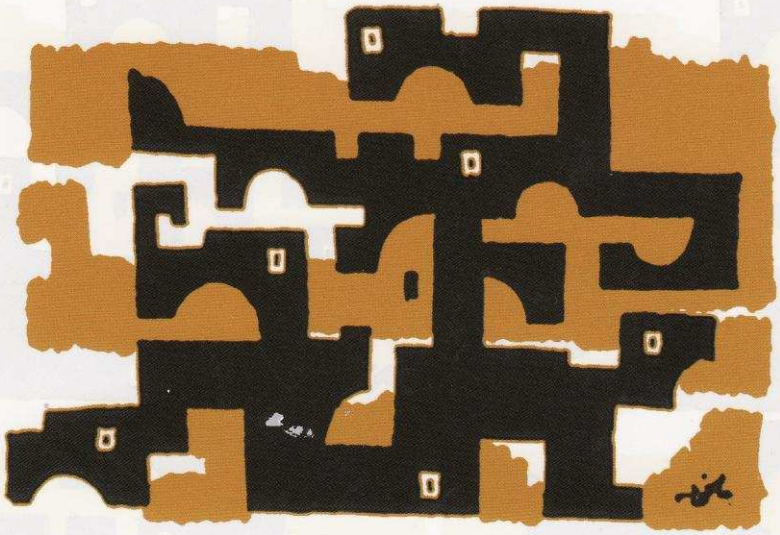

كلية الآداب والفنون
والإنسانيات بمنوبة

العدد 57
2012

الفهرس

عبد القادر المهيري،
السيرة الذاتيّة، 9

حمادي صمّود،
البلاغة العربيّة بلاغة وجوه أم بلاغة خطاب، 17

عبد المجيد الشرفي
نظرة في قصة سليمان وملكة سبإ، 35

محمّد صلاح الدين الشريف
الدارة النحويّة البلاغيّة، مقاربة نظريّة لتعليميّة الألسنة، 53

مبروك المنّاعي
افتتاح المراثي بالنّسيب شذوذ فنّي ؟ أم تقليد بائد ؟، 89

محمّد قوبعة
الأسطورة والصورة الكلية من خلال "سربروس في بابل" للسيّاب، ... 105

صالح الماجري وبشير الورهاني
ظاهرة التّكلس المعجميّ في اللسان العربيّ، 127

توفيق العلوي
الصرافم الحرفية قرائن التحديد الشكلية، 151

توفيق قريرة
المنوال العرفاني في دراسة "الأسْمَنَة" والأسماء المتّصلة بالفعل في العربيّة، 183

حسين العوري،
الخطاب الشعري ووظائف التخييل عند القرطاجني، 215

هشام القلفاط
التصوير المبنيّ على المشابهة: [ما كنتُ أحسبُ (..) حتى (..)] أنموذجا، 227

حاتم عبيد
حضور الذات في الخطاب الجامعيّ من خلال ظاهرة التلطيف، ... 261

عبد العزيز المسعودي،
التصنيف المقوليّ لمعاني المزيد، الجعل والطلب نموذجا، 289

المنجي القلفاط،
الاستعارة في المنظوريْن التداوليّ والعرفانيّ، 311

حضور الذات في الخطاب الجامعيّ من خلال ظاهرة التلطيف[1]

حاتم عبيد

ملخّص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة شائعة في الخطاب الجامعيّ تُعرف بالتلطيف (hedging)، و تتمثّل في تلك التعابير التي يستعملها الباحثون في شتّى الاختصاصات لتجنّب البتّ في القضايا التي يعبّرون عنها و لتقديم أفكارهم على أنّها مجرّد رأي لا باعتبارها من الحقائق المسلّم بها (يبدو أنّ...، يمكن اعتبار ذلك ضربا من...، و المرجّح أنّ...). و التلطيف في هذا البحث وجه من وجوه حضور الباحث في الكتابة لا يمكن فهمه إلاّ إذا عقدنا الصلة بين الكتابة العلميّة و المؤلّف ذاتا مغروسة في نصّها، غير منبتّة عن متقبّلها، لها من الأفكار التي توردها مواقف، و على الآراء التي تستعرضها أحكام، و مع غيرها من الباحثين حوارات تصل أحيانا إلى حدّ السجال.

[1] هذا المقال-في أصله-فكرة صغناها صياغة أوّليّة و عرضناها في قالب مختزل في ندوة عنوانها "الذات في الخطاب"، نظّمتها وحدة البحث "الدراسات الإنشائية" بالتعاون مع وحدة البحث "التراث والتحقيق والدراسة والترجمة"،كلّية الآداب العلوم الإنسانيّة بسوسة، يومي 4 و 5 ديسمبر 2009.

من هذا المنطلق الذي لا يُلقي بالخطاب الجامعيّ في دائرة الحياد المطلق و لا يفهم الموضوعيّة على أنّها ضرب من التجرّد التامّ الذي يحول دون استقدام الذات إلى الكتابة، من هذا المنطلق نحاول تعقّب آثار الذات في الكتابة الجامعيّة من خلال ما يستعمله الباحث من ملطّفات تعكس في مستوى أوّل من التحليل تفاعل الباحث مع الفكرة التي يعبّر عنها و الكيفيّة التي يدرك بها العالم الذي يتحدّث عنه و الظواهر التي يتناولها و الموجودات التي يصفها، وتفصح في مستوى ثان عن تفاعل الباحث مع القارئ الذي يكتب إليه و الجماعة الخطابيّة التي ينتمي إليها و ما استتبّ في إطار تلك الجماعة من قواعد و أعراف لا تنحصر في ما يعرف بقواعد الكتابة و أصول البحث، بل تتعدّاها إلى بُعد آخر أكثر عمقا و دقّة، نعني بذلك تلك الصورة التي يخرج بها القارئ بشأن الكاتب و التي تسهم في تشكيلها عناصر لغويّة شتّى ما الملطّفات إلاّ واحد منها.

عودة الروح/الذات إلى الخطاب الجامعيّ

يُعدّ الخطاب الجامعيّ صنفا من الكتابة العلميّة يتمّ تداوله في نطاق جماعة خطابيّة يكون أفرادها من الباحثين الذين يُعرفون بأهل الاختصاص و الذين إليهم يتّجه ذلك الخطاب، و بفضلهم يقع الاعتراف به، و منهم يستمدّ شرعيّته. و يتّخذ الخطاب الجامعيّ أشكالا متعدّدة نذكر منها المقال العلميّ المنشور في المجلاّت المحكّمة و الورقات المقدّمة في الندوات العلميّة و رسائل البحث التي تقدّم لنيل شهادة جامعيّة و ملخّصات المقالات و البحوث و تقارير لجان المناقشة و تقديم الكتب و الأطروحات و غير ذلك من الكتابات التي يشهد تنوّعها على ثراء هذا الخطاب و تعدّد فضاءاته و الأطراف التي تصدره و تتلقّاه. أمّا الغاية التي ينشد الخطاب الجامعيّ إدراكها، فهي المساهمة في إنتاج المعرفة في

اختصاص بعينه سواء تعلّق الأمر بما يعرف بالعلوم الصحيحة أو العلوم الإنسانيّة و الاجتماعيّة (woodward-Kron،2004).

و الحقّ أنّ اهتمامنا بمسألة الذات في الخطاب الجامعيّ يعود إلى ما شاع حوله من تصوّرات ساهمت في استبعاد الذات من هذا الخطاب الذي اقترن في الأذهان بصفتي الموضوعيّة و الحياد، و ترتّب على ذلك القران تجريد لهذا النوع من الخطاب من كلّ بعد ذاتيّ، و دعوة من يكتب فيه-و لاسيّما من كان مبتدئا- إلى تجفيف كتابته من كلّ ما يمكن أن يُستشفّ منه حضور للذات أو لأيّ أثر يهدي إليها و يدلّ عليها. فكانت الموضوعيّة وفق هذا التصوّر خصلة لا يتّصف بها الخطاب الجامعيّ إلاّ إذا جعل الباحث بينه و بين ما يكتب سدّا لا يترك للذات منفذا تعبر منه إلى الكتابة.

و أحسن ما يفصح عنه هذا التصوّر، ما نجده في كثير من الكتب التي تبيّن للباحثين الناشئين مناهج البحث و أساليب كتابة الرسائل الجامعيّة من دعوات متكرّرة إلى نبذ استعمال ضمائر التكلّم "و الاستعاضة عنها بأساليب علميّة مجرّدة من كلّ مظاهر الغرور أو الاعتداد و أكثر قبولا من العقل و أحسن وقعا على النفس. مثل: يمكن القول، يبدو أنّ، و يظهر أنّ، و لعلّ الرأي الأقرب إلى الصواب، يتّضح ممّا سبق ذكره، بيد أنّ الرأي الغالب (...) و الجدير بالذكر، و من المستحسن، و يستحسن، و يفضّل...إلخ" (فضل اللّه،1998 :81). فمثل هذه التعابير تمكّن الباحث من أن يتكلّم بلسان غير لسانه، و من ثمّ تجعله أقرب إلى الصدق و أبعد عن الهوى.

و على أنقاض هذا التصوّر الذي يُلقي بالخطاب الجامعيّ في دائرة الحياد المطلق و يستبعد أن يكون للمؤلّف فيها حضور، قام تصوّر آخر مخالف لم يجعل الموضوعيّة على طرف و الذاتيّة على طرف نقيض، لا و لم

يقطع حبل الوصال بين ما يكتبه الباحثون في شتّى الاختصاصات و ما يكون لذواتهم من آثار تبرز أحيانا فتطفو على سطح الكتابة، و تدقّ أخرى فلا يقف عليها إلاّ من اخترق السطوح و نفذ إلى قرار الكتابة و عمقها. (Vold،2006: 63)

فالخطاب الجامعيّ لا يخلو من هدف إقناعيّ (Hyland،2008 :2) و لا يتجرّد من مكوّن ذاتيّ يظلّ شاهدا على أنّ المتكلّم حاضر في خطابه مهما تظاهر بالحياد، و سلك في القول طرقا توهم بأنّه انسحب من فعل التلفّظ و أوكل أمره إلى أطراف أخرى و فسخ كلّ العلامات الدالّة على حضوره (Rabatel،2004). و الحقّ أنّ هذا التصوّر أقام الدليل من جديد على صدق القاعدة التي تنصّ على أنّ الذاتيّة مركوزة في اللّغة، و أنّ الخطاب الجامعيّ لا يشذّ عن تلك القاعدة، و أنّ في هذا الصنف من الكتابة استعمالات لغويّة شتّى لو جعلنا بعضها بسبب من بعض لألفيناها تنخرط في إشكاليّة واحدة هي إشكاليّة الذات في الخطاب الجامعيّ. و هذا ما تفصح عنه جملة من البحوث الدائرة على الخطاب الجامعيّ، منها ما يتناول استعمال الضمائر (Flottum،2005)، و منها ما يتطرّق إلى مفهوم الخطاب على الخطاب (Hyland، 2005a)، و منها ما يعالج الشواهد و كيفيّة توظيفها (Petric،2007)، و منها ما يتعقّب الآثار الدالّة على مواقف الباحث و وجهات نظره و مظاهر انخراطه في الخطاب (Hyland، 2005b)، و منها ما يدرس مفهوم الجهة (Vold،2006)، و غير ذلك من المفاهيم التي عقدت صلة قويّة بين الخطاب الجامعيّ و المؤلّف ذاتا مغروسة في نصّها، غير منبتّة عن متقبّلها، لها من الأفكار التي توردها مواقف، و على الآراء التي تستعرضها أحكام، و مع غيرها من الباحثين حورارات تصل أحيانا إلى حدّ السجال.

من هذا المنطلق رأينا أن نتوقّف على استعمال لغويّ لم يحظ باهتمام الدارسين العرب رغم أنّه يُعدّ لكثرة جريانه في كتابات الجامعيّين من أبرز خصائص هذا النوع من الخطاب. نعني بذلك تلك الملطّفات التي يقابلها في الإنجليزيّة مصطلح (hedges) و في الفرنسيّة مصطلح (atténuateurs)، و التي كثيرا ما يُخلّل بها الباحثون كتاباتهم لأنّها-حسب الرأي المتداول- إذ تحلّ محلّ ضمير المتكلّم، تكون علامة على اتّصاف الكتابة بالموضوعيّة و أداة تُجنّب الباحثين الوقوع في الوثوقيّة و القطع بالرأي الحاسم، كلّما قدّموا فكرة أو أثبتوا أمرا أو عرضوا لنتيجة من النتائج التي قادهم إليها البحث.

و لا نعني بالتلطيف في هذا البحث ما عناه القدامى و المحدثون العرب من هذه الظاهرة التي عدّت من أساليب العربيّة. فكانت طريقة من طرائق الكناية و مسلكا لغويّا تمّ تفسيره بمفهوم الحظر الذي يضربه العرف الاجتماعيّ على عدد من الكلمات و العبارات يتجنّب الناس استعمالها لأسباب تتعلّق بقواعد اللّياقة و بالذوق و بالمعتقد، و يستبدلون بها "غيرها من الألفاظ أو العبارات التي تكون ألطف في السمع و أخفّ على النفس" (الصماري، 2000: 70). فالتلطيف- في تقديرنا- ظاهرة تتنزّل في مجال الخطاب، و تعتبر إلى جانب استخدامات لغويّة أخرى من أبرز الظواهر الدالّة على حضور الباحث في ما يكتب، إذ هي الجسر الرابط بين المحتوى القضويّ للجملة من جهة، و ما يكون للباحث في ذلك المحتوى من حضور و ما يُبديه تجاهه من أحكام و تقويمات و مواقف من جهة أخرى.

و هذا ما لم ينتبه إليه جماعة من المؤلّفين نصحوا الباحثين الشبّان باستعمال "العبارات المليّنة" بدل "التعابير ذات الطابع القطعيّ". و لكنّهم لم يشيروا البتّة إلى ما يكون للباحث في تلك الملطّفات من حضور. وراء ذلك تصوّر يرى في عدم استعمال ضمائر التكلّم و في استخدام الملطّفات

تطهيرا للكتابة العلميّة من كلّ ما يمكن أن يشوبها من اعتزاز بالذات قد يؤدّي بالباحث إلى التكبّر و الغرور. فالكتابة الخاصّة بالبحوث تقوم وفق هذا التصوّر على أسس ينبغي الالتزام بها من أبرزها "الابتعاد عن ضمير المتكلّم في الكتابة. و هذا يعني ألاّ يستخدم الباحث صيغة الأنا حتّى لا يشعر القارئ أنّ الباحث متكبّر أو معتزّ جدّا بنفسه. و الابتعاد عن التعابير أو الصيغ ذات الطابع القطعيّ، و بخاصّة في مجال العلوم الاجتماعيّة. فيجب على الباحث عدم تعميم نتائج بحثه على أنّها حقائق مطلقة، بل يجب عليه استخدام بعض التعابير المليّنة مثل: بشكل عامّ يُعتقد، يغلب على ... و هكذا" (محمّد عبيدات، 1999 : 189).

فمن منطلق لا يُلقي بالخطاب الجامعيّ في دائرة الحياد المطلق و لا يفهم الموضوعيّة على أنّها ضرب من التجرّد التامّ الذي يحول دون استقدام الذات إلى الكتابة، من هذا المنطلق نحاول تعقّب آثار الذات في الكتابة الجامعيّة من خلال ما يستعمله الباحث من ملطّفات تعكس في مستوى أوّل من التحليل تفاعل الباحث مع الفكرة التي يعبّر عنها و الكيفيّة التي يدرك بها العالم الذي يتحدّث عنه و الظواهر التي يتناولها و الموجودات التي يصفها، و تفصح في مستوى ثان عن تفاعل الباحث مع القارئ الذي يكتب إليه و الجماعة الخطابيّة التي ينتمي إليها و ما استتبّ في إطار تلك الجماعة من قواعد و أعراف لا تنحصر في ما يعرف بقواعد الكتابة و أصول البحث، بل تتعدّاها إلى بُعد آخر أكثر عمقا و دقّة، نعني بذلك تلك الصورة التي يخرج بها القارئ بشأن الكاتب و التي تسهم في تشكيلها عناصر لغويّة شتّى ما الملطّفات إلاّ واحد منها.

في تعريف التلطيف:

لا نجد لمصطلح التلطيف في الخطاب الجامعيّ تعريفا حظي بإجماع الدارسين، رغم ما حظيت به الظاهرة من كتابات ما انفكّ عددها يزداد

يوما بعد يوم. و هذا ما جعل جلّ من يكتب في الموضوع يثير مشكلة التعريف من جديد، و يُعيد النظر في التعريفات السابقة ليبيّن حدودها و يقترح ما يبدو له أقدر على رسم حدود الظاهرة و استيعاب فروعها و مختلف شعبها (Crompton،1997). فالتلطيف عند بعض الباحثين جزء من ظاهرة أشمل تعرف بالخطاب على الخطاب (metadiscourse) و تتمثّل في تلك الإمكانات التي توفّرها اللّغة للمتكلّم، لا لكي يتحدّث عن الأشياء الماثلة في ذهنه أو الحاضرة أمامه، أو ليصف اللّغة نفسها عندما يقوم بدراستها أو ليلفت الانتباه إليها ساعة يستخدمها، بل ليتحدّث عن علاقته بما هو بصدد قوله (Skelton ،1997 :124).

فحديث المتكلّم عن الأشياء كثيرا ما يتخلّله تعليق على ما قاله ذلك المتكلّم نستشفّ منه موقفه من التصريحات التي يوردها و موقعه من الأشياء التي يتحدّث عنها. فالمتكلّم إذا تحدّث أو كتب يصوغ جملة من القضايا. و هو في الآن ذاته يعلّق على موقفه من تلك القضايا تعليقا يبدي فيه إمّا موقفا من صحّة القضيّة أو حكما قيميّا في شأنها. و هذا ما يتّضح في الفروق الموجودة بين قولنا: الأرض مسطّحة، و قولنا: **طالما تجادل الناس في** أنّ الأرض مسطّحة، و قولنا: **نحمد اللّه على** أنّ الأرض مسطّحة. فنحن في المثال الأوّل بنينا قضيّة، و في المثال الثاني أدخلنا على تلك القضيّة تحويرا تمثّل في التعليق على منزلة تلك القضيّة ضمن سلّم الصدق و الكذب، و في المثال الثالث علّقنا على القيمة العاطفيّة و النفسيّة لتلك القضيّة.

و الحقّ أنّ الخيط الفاصل بين الحكم المتعلّق بصدق القضيّة و ذاك المتّصل بقيمتها يظلّ في أغلب الحالات رقيقا. و هذا ما يتّضح من المثال الثاني الذي يمكن أن نفهم منه أمرين:إمّا أنّ المتكلّم ينقل واقعة يسلّم بصدقها و بداهتها (التسليم بأنّ الأرض مسطّحة)، أو أنّه على خلاف مع ما ينقله و يتحدّث عنه (عدم الموافقة بأنّ الأرض مسطّحة). و يمكن أن نفهم

من هذا المثال أيضا أنّ المتكلّم يصرّح بحقيقة و يحتفظ في الآن ذاته بموقفه من صدقها على النحو الذي يمكّنه من تبنّي الموقف القائل بتسطّح الأرض إذا ثبت أنّ الأرض مسطّحة، أو ادّعاء الرأي الثاني القائل بكرويّة الأرض إذا ظهر من يقيم الدليل على أنّ الأرض مدوّرة. و يبقى التلطيف في تقدير سكلتون طريقة يضع بها الباحث نفسه في موضع لا يظهر من خلاله معتقدا في صدق القضيّة التي يعبّر عنها. و هو ظاهرة تستخدم في تقديم الحقائق العلميّة التي يراها سكلتون ضربا من البناء الاجتماعيّ لا مجرّد انعكاس للطبيعة.

و ممّا يدخل في مصاعب التعريف، أنّ التلطيف–و مداره على جعل الرسالة تتّسم بقدر من النسبيّة و عدم الدقّة- ظاهرة يمكن التعبير عنها باستخدام جملة من الألفاظ و التراكيب يختلف نوعها و عددها بحسب ما يفهمه الدارس من مصطلح التلطيف. و هذا ما يجعل التعرّف إلى الملطّفات أمرا لا يخلو من مصاعب رأت سلاجر ماير (Salager-Meyer،1994) أنّ تذليلها لا يكون إلاّ بالانطلاق من أنّ التلطيف ظاهرة ذاتيّة و ثمرة موقف ذهنيّ يتحقّق في استخدامات طرازيّة تحقّقه في طرائق لغويّة متنوّعة عدد مهمّ منها لا يتمحّض للتلطيف. لذلك نحن في حاجة إلى من يرشدنا إلى معرفة التعبير اللّغويّ متى يكون ملطّفا، و متى يأتي لغير ذلك.

و يبقى الحلّ في تقدير سلاجر ماير في الاحتكام إلى السياقات التي ترد فيها الملطّفات، و في الاستنجاد في الحالات المشكلة برأي من يتمتّع بخبرة واسعة و يعدّ من أهل الميدان الذين يمتلكون معرفة بلطائف الكتابة و دقائقها، و يستطيعون بفضل ذلك أن يضبطوا ما هو المطلوب و ما هو المتعارف عليه داخل الاختصاص. و لعلّ هذا ما قاد سلاجر ماير إلى تعريف الملطّفات على أنّها تلك التعابير اللّغويّة التي دأب الكتّاب الباحثون على اعتبارها من الملطّفات (Salager-Meyer،1994). و هو

تعريف لا يختلف في تصوّر كرمتن (Crompton،1997) عن تعريفات أخرى كثيرة أخفق أصحابها في ضبط حدود التلطيف و شرّقوا و غرّبوا في تعريف هذه الظاهرة، حتّى أمسى التلطيف عبارة فارغة تُطلق على مسمّيات لا تُحدّ و لا تعني في نهاية الأمر استعمالا بعينه. و الرأي عند كرمتن أنّ التلطيف لا يقرّ له قرار و لا تبين له حدود إلاّ إذا تمّ وصله بمفهوم مهمّ هو جهة المعرفة (epistemic modality) منه أفاد كرمتن، و في ضوء تعريف لاينس (Lyons) إيّاه عرّف الملطّفات على أنّها عناصر لغويّة يستعملها المتكلّم لكي يشير إلى عدم التزامه بصدق القضيّة التي يعبّر عنها (نفسه: 281).

و التلطيف عند كرمتن ظاهرة مدارها على القضايا لا على الألفاظ المفردة، و التعرّف إليها يكون باعتماد اختبار بسيط به نعرف إن كانت القضيّة قد تمّ تلطيفها فعلا، أم إنّ الأمر لا يدخل في باب التلطيف. و يتمثّل ذلك الاختبار في إعادة صياغة القضيّة على نحو من الأنحاء، كأن نحوّل فيه القضيّة من الإثبات إلى النفي، أو نحذف فيها ما عُدّ ملطّفا أو ننقله من موضعه إلى موضع آخر، أو نستبدله بملطّف آخر. ثمّ ننظر في ما يترتّب على ذلك من تغييرات. فإن احتفظت القضيّة بمحتواها و قوي التزام المتكلّم بها، عددنا القضيّة ملطّفة. أمّا إذا تغيّر محتوى القضيّة بموجب تلك التحويلات و لم ترتفع درجة التزام المتكلّم بصدق القضيّة، فذلك دليل على إخفاق التعبير اللّغويّ في أن يكون ملطّفا. فعبارة " إلى حدّ مّا " ملطّف في قولنا:

أنت مخطئ إلى **حدّ مّا**.

و آية ذلك أنّنا حين نحذف هذه العبارة (أنت مخطئ)، لا يترتّب على ذلك تغيير في أساس القضيّة. و لكنّ مسؤوليّة المتكلّم تجاه قضيّته أصبحت

واضحة، و لم يعد في مقدوره التنصّل من تبعات القـول و عواقبـه. و عـلى خلاف هذا لا يعتبر لفظ " قليلة" ملطّفا في المثال التالي:

توجد معلومات **قليلة** حول انتشار الفوضى و خطورتها.

و علّة ذلك أنّ حذف لفظ "قليلة" (توجد معلومـات حـول انتشـار الفوضى و خطورتها) أو تحويل الجملة مـن الإثبـات إلى النفـي (لا توجـد معلومات حول انتشار الفوضى و خطورتها) غيّرا محتوى القضيّة.

على هذا النحو حاول كرمتن ضبط حدود التلطيف التـي لم يجـدها واضحة عند غيره من الدارسين. و في العودة إلى مفهوم جهـة المعرفـة التـي طابق بينها و بين التلطيف وجد الحلّ. و بفضل ذلك الاختبار لم تعد هنـاك في اعتقاده عقبات تحول دون التعـرّف إلى الملطّفـات و تخليصـها ممّـا لـيس منها. و لكن هل استطاع كرمتن –حقّا وصدقا- أن ينهي الخلافـات القائمـة حول هذه الظاهرة، و أن يقدّم تعريفا يمكن أن يحظى بإجماع الدارسين؟

لا نظنّ ذلك كذلك. فالتعريف الذي اقترحه كرمتن لـئن بـدا واعـدا لأنّه ينأى بنا عن تلك التعريفات العامّة، فإنّ فيه تقليصا للظاهرة إلى الحـدّ الذي يصبح فيه من المتعذّر تمييزها من جهـة المعرفـة. فـنحن لا نعـرف إن كان التلطيف يندرج ضمن جهة المعرفة. أم هو ظاهرة أشـمل منهـا. أم إنّ هذين المفهومين يتنزّلان في إطار ظاهرة عامّة تشملهما و تشمل جملـة مـن المفاهيم الأخرى. و حتّى ذلك الاختبار الذي احتكم إليه كـرمتن في تمييـز القضايا الملطّفة من غيرها لم يسلم مـن الطعـن. فقـد عـادت ف. مـاير إلى الأمثلة التي استدلّ بها كرمتن على صحّة مقياسه. و نازعته الرأي في ذلك. و قارعت المثال بالمثال. و انتهت إلى أنّ ذلك الاختبـار لا ينفـع في كثـير مـن الحالات (Salager-Meyer، 1998).

أمّا هايلند فالتلطيف عنده يُحيل على كلّ ما يستعمله المتكلّم من أدوات لغويّة كي يُظهر عدم التزامه بصدق القضيّة التي يعبّر عنها أو عدم رغبته في التعبير عن ذلك الالتزام بطريقة قطعيّة (Hyland، 1998،1). و حتّى يخلّص هايلند التلطيف ممّا يمكن أن يلتبس به من ظواهر أخرى يستعملها المتكلّم لبيان درجة التزامه بالقضيّة، أضاف إلى التعريف السابق تعريفا آخر جعل مدار التلطيف فيه على تلك الوسائل التي تمكّن الكتّاب من أن يقدّموا قضيّة من القضايا على أنّها مجرّد رأي لا على أنّها حقيقة ثابتة (نفسه : 5). و قد كانت غاية هايلند من هذا التعريف أن يخرج من دائرة التلطيف مجموعة من الصيغ و التعابير تُظهر المتكلّم على درجة من اليقين في ما يُبديه من آراء (من المؤكّد أنّ...، و هذا ما لا يرقى إليه شكّ، و من المسائل التي لا يختلف فيها اثنان...). فمثل هذه التعابير و غيرها كثير (واضح أنّ، يتبيّن لنا بوضوح أنّ، و لا شكّ في أنّ...)، تشكّل عند هايلند مجموعة أخرى أطلق عليها اسم المعزّزات (boosters)، و أوكل إليها جملة من الأدوار من أبرزها تمكين الباحث من إظهار اليقين عند التعبير عن الأفكار التي يشاركه فيها القرّاء و أهل الاختصاص، بما يرسّخ انتماء ذلك الباحث إلى الجماعة الخطابيّة و يسهم في توسيع دائرة الاتفاق بينهما (2005،179b).

و قد جمع هايلند في سياق آخر بين التعريفين السابقين منتهيا إلى أنّ التلطيف يتمثّل في تلك الوسائل التعبيريّة التي نفهم من استعمال الباحث إيّاها أنّه امتنع عن إظهار التزامه الكامل بالقضيّة، و آثر أن يترك الأفكار تقدّم نفسها على أنّها من الرأي القابل للنقاش لا من الحقائق المسلّم بها (نفسه ،178). و إذا كان في هذا التعريف تعميم يحول دون وضع قائمة مغلقة للملطّفات ، فإنّ له فضلا في الخروج بظاهرة التلطيف من دائرة اللّغة التي تمّ في نطاقها تصنيف الملطّفات تصنيفا لا يعدو حدود الجملة، إلى

نطاق أوسع هو الخطاب، ليغدو التلطيف استراتيجيّة خطابيّة يعتمدها الباحث كلّما أراد توهين قوّة الإثبات و الادّعاء المضمّنة في القضايا المعبّر عنها (Martin-Martin، 2008 : 137). و هذا يظهر في مواطن من البحث كثيرة كتلك التي يشير فيها الباحث إلى ما يعترض سبيله من مصاعب، أو إلى ما يتخلّل عمله من نقائص، أو إلى أنّ المنوال الذي يقترحه و المنهج الذي يعتمده لهما حدود يقفان عندهما و بدائل يمكن أن تقوم مقامهما. فتصنيف الملطّفات ههنا يتمّ بحسب ما يتوخّاه الباحث من استراتيجيّات مختلفة لكلّ واحدة منها عدد من الملطّفات يناسبها.

و لاشكّ في أنّ هذا التصوّر إذ يجعل الملطّفات بسبب من الغاية التي تستخدم من أجلها، فإنّه لا يأبه كثيرا بما أقامه بعض الدارسين بين الملطّفات من حدود استنادا إلى مقاييس شكليّة تمّ في ضوئها تصنيف الملطّفات و توزيعها إلى مجموعات بحسب الفئة النحويّة التي ينتمي إليها كلّ ملطّف. و هكذا لم يعد لدينا ملطّفات من صنف الأدوات و أخرى من صنف الأفعال و مجموعة ثالثة من صنف الظروف. لا، و لم تعد الملطّفات تصنّف إلى بسيطة يستعمل فيها الباحث نوعا واحدا من الملطّفات (و على كلّ... يبدو أنّ...) و مركّبة يجمع فيها الباحث بين نوعين أو أكثر في الجملة الواحدة (و على كلّ يمكن أن نعتبر...تبدو لنا في أغلب الأحيان...)، بل أمست الملطّفات تتوزّع بحسب ما يعتمده الباحث من استراتيجيّات يسخّر لها عددا من الملطّفات لا تنتمي بالضرورة إلى فئة نحويّة واحدة، و إنّما هي استعمالات شتّى للظاهرة نفسها تشترك في خدمة غرض بعينه.

و يشكّل تعزيز البعد الذاتيّ واحدة من أبرز الاستراتيجيّات الخطابيّة التي يتوخّاها الباحثون في ما يعرضون له من مسائل و ما يُبدونه من آراء. فالباحث ههنا حريص على أن يظهر للقارئ أنّ القضايا صادرة عن وجهة نظر خاصّة، و أنّها لا تعبّر إلاّ عن رأي الباحث، و أنّ المجال

مفتوح للقارئ كي يدلي بدلوه في المسائل المطروقة و يقترح الطرح البـديل إن لم تقنعه أطروحات الباحث. و من أهمّ الملطّفات المسخّرة لهذا الغرض أفعال الظنّ و الاعتقاد عندما تُسند إلى المتكلّم مفردا كان أو جمعا (أعتقـد أنّ...، نعتبر ذلك...) و بعض التعابير المؤدّية للغرض نفسه مثل: "و المرجّح عندي". و جملة من التعابير الأخرى التي ينسب فيها الباحث وجهة النظر إلى نفسه ذاتا عنها تصدر الآراء دون أن تكون ملزمة للقارئ. و مثل ذلك: "من وجهة نظري" و "في تقديري" و "حسب رأيي" و "إلى حدّ علمي."

و قد يتّبع الباحث استراتيجيّة أخرى يعمد فيها إلى تقليص حضـوره في القضايا التي يعبّر عنها. و يكـون ذلـك باسـتعمال جملـة مـن الملطّفـات القائمة على عدد من الأبنية و التراكيب النازعة إلى التعميم، لأنّ الباحث لم يُسند الأفعال إلى نفسه، و اختار بـدل ذلـك إمّـا أن يسـندها إلى المجهـول (يُلاحـظ أنّ،)، أو إلى مـا حقّـه أن يكـون مفعـولا (يمكـن القـول، تجـدر الملاحظة...و هذه الملاحظات تقود إلى...، و هذه المعطيات تؤكّـد أنّ...). و من الملطّفات التي يخفّف بها الباحث حضوره في الخطاب عبارات تمهّـد للفعل المسند إلى ضمير المتكلّم و تسبقه من قبيل: " و بناء على ذلك نقـول" و "من البديهيّ أن نستخلص" و " من باب أولى و أحـرى أن نعتـبر ". و لا شكّ في أنّ استخدام مثل هذه التعابير و تلك الأبنية إذ يقلّـص مـن حضـور الباحث في خطابه، فإنّه بالاستتباع يضعف من درجة التزام المتكلّم بصدق القضيّة المعبّر عنها حتّى لا يتحمّل بمفرده مسؤوليّة القول و تبعاته.

أمّا الاستراتيجيّة الثالثة فتقوم سياسة القول فيها على تجنّب الباحـث الحسم في المسائل، و السعي إلى الظهور في مظهر من لا يملك القول الفصـل و الحكم النهائيّ في الأحكام التي يبديها و المواقف التي يعـبّر عنهـا. لـذلك تراه يُضفي على معنى القضايا قدرا من الغموض، سـالكا الشـكّ طريقـا إلى اليقين، مسخّرا لهذه الغاية عددا من الملطّفات منها ما يتعلّق بجهة المعرفة و

منها ما يفيد التقريب. و يضمّ الصنف الأوّل ملطّفات لا يجمع بينها سوى إفادة درجة علم المتكلّم من قبيل الأدوات (قد، ربّما)، و عدد من النواسخ (لعلّ، كأنّ، عسى)، و الأفعال الناقلة التي تنقل الإسناد من الفعل إلى الاسم (يمكن، يبدو، يعسر)، و أفعال القلوب (أرى، أظنّ، أعتقد، أتصوّر)، و أفعال أخرى تفيد معنى الإمكان و الافتراض أو معنى الترجيح (يوحي، يُفترض، يُستخلص، يرجّح، يغلب عليه)، و ظروف دالّة على المعرفة (ربّما)، و مركّبات بالجرّ تفيد الإمكان (على الأرجح، من الممكن، من الصعب). أمّا الصنف الثاني من الملطّفات، فيستخدمه الباحث في الحالات التي يتوخّى فيها التنسيب و التقريب متى تعلّق الأمر بالتعبير عن معاني الكمّ و التواتر و الدرجة و الزمن. و تكون الغاية من استعمال هذه الملطّفات رغبة الباحث في إظهار قدر من الحيطة حتّى لا يكون التزامه بالقضيّة المعبّر عنها مطلقا (قلّما، قليلا، كثيرا، أحيانا، غالبا، في بعض الأحيان، إلى حدّ مّا، أكثر من، أقلّ من...).

على هذا النحو ألفينا التلطيف ظاهرة مركّبة اختلف الدارسون في تعريفها و تصنيفها و تخليصها من الظواهر القريبة منها و بيان سبل تناولها و التعامل معها. فمن الدارسين من عدّ التلطيف فرعا من ظاهرة أشمل هي الخطاب على الخطاب. و منهم من شعر باتّساع أكناف هذا المفهوم فمضى يضيّق دائرته، و يجذبه إلى مفهوم قريب منه هو الجهة، ليصبح التلطيف ظاهرة تدلّ على ما يدلّ عليه مفهوم جهة المعرفة تحديدا. و منهم من خرج بالتلطيف من مجرّد الاستعمال اللّغويّ إلى نطاق الاستراتيجيّة التي يتّبعها الباحث ليحقّق جملة من الأهداف.

و مثلما ألفينا الدارسين يسلكون مسالك مختلفة في ضبط حدود التلطيف، وجدناهم يقترحون حلولا شتّى أمام ما واجهوه من مصاعب في التعرّف إلى ما يستعمله الباحث من استخدامات لغويّة لئن كان اعتبار

بعضها من الملطّفات لا يثير إشكالا لأنّها ممحّضة للتلطيف، فإنّ التعرّف إلى استخدامات أخرى و اعتبارها من الملطّفات من المهامّ التي لا يفلح الدارس في تحقيقها إلاّ بالعودة إلى السياق الذي استعمل فيه التعبير اللّغويّ، أو بالاستنجاد بقارئ تساعده خبرته و رسوخ قدمه في الاختصاص على الحسم في الحالات التي يشتبه فيها أمر التلطيف، أو بالاحتكام إلى مقاييس إجرائيّة و اختبارات نتمكّن بها من التعرّف على القضيّة متى يدخل عليها هذا الاستعمال اللّغويّ فيجعلها ملطّفة، و متى لا تتّصف بالتلطيف رغم دخول ذلك الاستعمال عليها.

و يبقى التزام المتكلّم بصدق القضيّة و ما يكون للتلطيف من دور في خفض درجة ذلك الالتزام قاسما مشتركا بين الدارسين مهما تباينت بهم السبل في حدّ الظاهرة و تعيين طرق التعرّف إلى التعابير التي تتحقّق فيها. فالتلطيف في جلّ التعريفات التي وقفنا عندها طريقة في التعبير يتوخّاها المتكلّم كلّما أراد ألاّ يظهر اعتقاده في صحّة القضيّة التي يعبّر عنها. و هذا ما قاد بعض الدارسين (Crompton،1998) إلى اعتبار التلطيف ضربا من الوسم بمقتضاه تصبح للقضيّة الواحدة و لالتزام المتكلّم بصدقها أشكال موسومة و أخرى غير موسومة. و يظلّ جوهر التلطيف في تقديرنا و استنادا إلى التصنيف الذي اقترحه هايلند قائما على ضرب من التوجيه الذي يستهدف الفكرة المعبّر عنها حينا و القارئ حينا آخر. و هذا ما سنعمل على إيضاحه في العنصرين المواليين من هذا البحث.

التلطيف وجها من وجوه تفاعل الباحث مع الفكرة المعبّر عنها:

يتّفق جلّ الذين كتبوا حول التلطيف في الخطاب الجامعيّ على أنّ ج. لايكوف (G. Lakoff) هو أوّل من أدخل هذا المفهوم إلى الدرس اللّسانيّ (Varttala،2001 :6). ففي دراسته الشهيرة:" الملطّفات: دراسة في المعيار الدلالي و في منطق المفاهيم الملتبسة"(1973)، أعاد لايكوف النظر في

العلاقة الرابطة بين الظواهر الطبيعيّة، و ما يجـرّده الإنسـان مـن مقـولات لفهم تلك الظواهر و تنظيمهـا و وضـعها في خانـات و مجموعـات تشـترك عناصر كلّ واحدة منهـا في جملـة مـن الخصـائص. و قـد أسـلمه ذلـك إلى الانتقاض على الرأي السائد الذي كان يتبنّاه المناطقة عـلى عهـده، و الـذي بمقتضاه كانت الجمل في اللّغات الطبيعيّة، و لاسيّما الجمل التقريريّـة، إمّـا صادقة أو كاذبة أو هي تخلو من قيمة الصدق، فلا يكون لها معنى. و عـلى خلاف هذا الرأي الذي يقيم حدودا صـارمة بـين الصـدق و الكـذب، نبّـه لايكـوف إلى أنّ في اللّغـات الطبيعيّـة مفـاهيم يشـوبها اللّـبس و يـداخلها الغموض، و أنّ الجمل لا تكون صادقة مطلق الصدق و لا كاذبـة الكـذب كلّه و لا خالية من المعنى تمام الخلوّ. بل هي صادقة إلى حدّ مّا، و كاذبة من وجهة نظر مّا، و خالية من المعنى لمن يراها كذلك.

و قد استدلّ لايكوف على فكرته هذه بتبيّن الخصائص المنطقيّة لعدد من الكلمات و التعابير أطلق عليها مصطلح الملطّفات (hedges)، و أسـند إليها إحدى مهمّتين: فهي إمّا تسهم في جعل الأشياء غامضة أكثر ممّا كانت عليه أو في تقليص ما يعتريها من غموض، و نبّه إلى أنّ النـاس يسـتعملونها كلّما تحدّثوا عن موجودات أو ظواهر طبيعيّـة علاقتهـا واهيـة بـالمقولات الذهنيّة (conceptual categories) التي تنتمي إليها. و هي لذلك تقع عـلى هامش تلك المقولات لا في مركزها. و مثل ذلك البطريق في علاقتـه بمقولـة الطير. فحظّ هذا الكائن من الخصائص المشتركة بين مجموعة الطيور دون حظّ كثير من الأفراد المنتمية إلى تلك المقولة. لذلك ترانـا نسـتعمل ملطّفـا نُظهر من خلاله ضعف الصلة الرابطة بين البطريق و تلك المقولـة. فبـدل قولنا:البطريق طير. نقول:البطريق **نوع** من الطير.

فوظيفة التلطيف في هذه الحالة إضفاء قدر من التنسيب و الغمـوض على الجملة و تقديم محتواها القضويّ على نحو لا يَظهر فيه المتكلّم حاسما

في ما يقول. وعلّة ذلك ما يعتري علاقة بعض الأفراد بالمقولات المنتمية إليها من لبس يجعل من المتعذّر علينا في كثير من الحالات أن نقطع برأي حاسم في ما إذا كان الفرد يدخل في خانة المقولة أو يخرج منها. فالأفراد في انتمائهم إلى المقولات و إحرازهم على صفة العضويّة فيها منازل و درجات. و الملطّفات وفق هذا التصوّر عناصر لغويّة يستعملها المتكلّم كي يدخل تحويرا على علاقة الفرد بالمقولة و يقلّص من درجة انتمائه إليها. فبين الحقيقة المطلقة و الكذب المحض خطّ استرسال على نقطة من نقاطه يضع المتكلّم-بحسب ما يستعمله من ملطّفات- ما يسنده إلى الأخبار و الإثباتات من قيم الحقيقة.

و إلى جانب هذه القيمة النظريّة لظاهرة التلطيف أشار لايكوف إلى ما يكون للملطّفات من دور في إضعاف القوّة المضمّنة في القول (ص ص:490-491). فالفرق واضح بين قولك:

ينطلق القطار المتّجه إلى تونس على الساعة السابعة صباحا.

و قولك:

ينطلق القطار المتّجه إلى تونس على الساعة السابعة صباحا **على أقصى تقدير**.

فإدخال عبارة" على أقصى تقدير" على الجملة وهّن قوّة الإثبات فيها، و جعل الشكّ وعدم الدقّة يكتنفانها. و من ثمّ لم تعد القضايا التي تتّسم بمطلق الصدق هي الخانة التي يوضع فيها ذلك الإثبات. بل أمسى- موضعه نقطة غير محدّدة على ذلك الخطّ المسترسل بين الحقيقة و الكذب. و هذا ما يخفّف من عبء المسؤوليّة الملقى على عاتق المتكلّم بمقتضى- الخبر الذي ساقه. فالملطّفات تتمتّع بقدرة فائقة على الزجّ بالجمل التي تدخل عليها في دائرة الشكّ. و هذا ما يجعل منها أداة تنفع المتكلّم كلّما رغب في إيجاد

مسافة بينه و بين ما تتضمّنه جمله من محتويات قضويّة حتّى لا تكون العهدة عليه.

و إذا كان لهذه المقاربة الدلاليّة فضل لا ينكر في الكشف عن الخصائص الدلاليّة و المنطقيّة التي تتّصف بها الملطّفات و تكتسب بموجبها قدرة على زيادة الغموض أو تقليصه، فذلك لا يمكن أن يحجب عنّا الطابع الشكلي و المجرّد في تناول المعاني التي تُصيبها تلك الملطّفات وتُحوّرها. و فضل هذه المقاربة يظهر أيضا في تعميق النظر في الكيفيّة التي يدرك بها الإنسان العالم و الموجودات، و يجرّد من أجل ذلك جملة من المقولات بيّن تناول ظاهرة التلطيف ذلك التناول أنّ حدودها غائمة و أنّ كثيرا من الموجودات يظلّ على هامش المقولة لضعف الرابطة التي تشدّ الفرد إليها.

و قد كان لمقاربة لايكوف ظاهرة التلطيف من وجهة دلاليّة شكليّة أثر واضح على أغلب الذين تناولوا الظاهرة نفسها في الخطاب الجامعيّ. و إن كان هؤلاء قد ضيّقوا معنى التلطيف على النحو الذي عرّفه لايكوف، فلم يتعقّبوا إلاّ الوحدات اللّغويّة التي تسهم في إدخال الغموض على الجمل، تاركين في المقابل ما عدّه لايكوف من التلطيف و كان له دور في إزالة اللّبس عن الجمل (Varttala،8). فقد كان السعي إلى إضفاء قدر من الغموض على ما يقدّمه الباحث من فرضيّات و ما يعرض إليه من نتائج علّة برّر بها بعض الدارسين تواتر التلطيف في الخطاب الجامعيّ. فاستخدام الملطّفات في هذه الحالة طريقة يتجنّب بها الباحث صياغة القضايا على نحو دقيق متى لم تُسعفه الشواهد، و لم يجد من الحجج الكافية ما به يدعّم فرضيّاته و يثبت وجهة نظره في الموضوع المطروق. فالملطّفات ههنا أسلوب يمكّن الباحث من تقديم مزاعمه و آرائه في صياغة لا يمكن للقارئ أن يرمي صاحبها بالخطأ لأنّ التزامه بصحّة القضيّة أمسى واهيا أو معدوما بموجب ما استخدمه من ملطّفات. و الغموض الذي تضفيه الملطّفات على

القضايا يدلّ من جملة ما يدلّ على التعبير عن غياب اليقين. و لكنّه-في تقدير سلاجر ماير- لا يعني بالضرورة أنّ المعاني المعبّر عنها تتّسم بالضبابيّة و الخلط. بل هو غموض يدلّ على أنّ الباحث حريص على الدقّة و الصرامة في عرض نتائجه و إبداء آرائه، و أنّه يعيش وضعا معرفيّا يتّسم بعدم الاستقرار و يعبّر عن لحظة من الفهم لا تخلو من حيرة و قلق (Salager-Meyer،1994).

و غير بعيد عن هذا التوجّه ما ذكره هايلند (1996: 439) في خصوص نوع من الملطّفات وسمه بالملطّفات الموجّهة نحو المحتوى (content-oriented hedges).و هو نوع يتعلّق بشروط المطابقة بين القضايا التي يعبّر عنها الباحث و العالم الخارجيّ الذي يصفه. فهذه الملطّفات تُظهر الباحث متفاعلا مع محتوى الفكرة التي يعبّر عنها ساعيا إلى أن يكون دقيقا في ما يصوغه من قضايا تراه يحرص على أن تكون ملائمة للواقع. و قد أوكل هايلند هذه المهمّة إلى جملة من الملطّفات أدرجها ضمن الملطّفات الموجّهة للمحتوى و نعتها بالملطّفات الموجّهة نحو الدقّة (accuracy-oriented hedges) التي يترجم استعمالها عن احتراز الباحث و تردّده إزاء ما يقدّمه من معطيات، و ما يصدره من أحكام يخشى- إن صاغها في شكل قوانين جامعة ألاّ تستوعب مختلف الظواهر المعنيّة بالدرس أو أن يثبت غيره بطلانها (نفسه: 440)

فالمقصود بالدقّة في هذا الصنف التحرّي في إطلاق الأحكام و الكفّ عن البتّ في المسائل، و اعتبار النتائج المتوصّل إليها لا من الحقائق الثابتة، بل ممّا تعكسه معارف الباحث و اجتهاده في طور من البحث معيّن يظلّ مرتهنا بما في حوزة الباحث من مناهج و أدوات لا شكّ في أنّها تخضع لناموس التطوّر. و من أبرز الملطّفات الموجّهة نحو تحقيق الدقّة ما سمّاه هايلند بملطّفات الإسناد (attribute hedges). و هذه تُستخدم في الحالات

التي يشعر فيها الباحث بأنّ المفاهيم التي جرّدها و المناويل التي أنشأها لا تنسحب بنفس الدرجة على ما يصفه من ظواهر فيها من التنوّع و الاختلاف ما يضطرّ الباحث إلى التحرّي أثناء إسناده جملة من الصفات إلى الظواهر التي يتحدّث عنها (نفسه:441). فدور هذا النوع من الملطّفات يتمثّل في تخفيف المطابقة بين الظاهرة المتحدّث عنها و الصفات المسندة إليها جرّاء التفاوت الحاصل بين النتائج المتوصّل إليها و المفاهيم المعتمدة في تفسير الظواهر. و أحسن ما يفصح عن هذا اللّون من التلطيف عبارة "إن جاز التعبير" يستعملها الباحث في المواطن التي يشعر فيها بأنّ اللّفظ الذي يستعمله و يُسنده إلى لفظ آخر غير دقيق. و مثل ذلك قول أحدهم: "بعبارة أخرى يتحتّم على النحويّ أن يحذر من المعاني التي تطفو-**إن جاز التعبير**-على سطح الجمل و تبرز للعيان تحت تأثير معاني الكلمات" (المهيري، من الكلمة: 164)

و الإسناد في حالات أخرى يتعلّق بالصفات التي يسندها الباحث إلى المنظور الذي يتبنّاه و يرسل من خلاله أحكاما تتعلّق بصدق المزاعم. و الغاية من ذلك إضفاء طابع النسبيّة على تلك الأحكام و الإشارة إلى أنّ الباحث لا يتحدّث في المطلق، بل هو يتبنّى وجهة نظر معيّنة منها يصف و عنها يصدر أحكامه. و ممّا يدخل في هذا النوع قول المهيريّ في تبويب المادّة التي احتوى عليها كتاب سيبويه: "و يمكن-**من هذه الناحية**- تقسيم أبواب الكتاب إلى قسمين: قسم بوّب على أساس الأحكام، وقسم بوّب على أساس الأمثلة و تشعّب الاستعمال" (المهيري، أعلام و آثار: 40-41). و قوله كذلك في معرض تقديمه آراء الجرجانيّ في اللّغة و الكلام: "و يمكن أن نقول **من الناحية البلاغيّة** إنّ النظم هو الصورة التي يخرج فيها المعنى" (المهيري، أعلام و آثار: 133).

و إذا كانت الملطّفات الموجّهة نحو الدقّة تعكس هاجسا يستبدّ بكلّ باحث و يتمثّل في تحقيق قدر من الدقّة عند وصف الظواهر و تأويلها، فإنّ استخدام الملطّفات الموجّهة نحو الكاتب (writer-oriented hedges) و التي تشكّل الصنف الثاني من الملطّفات الموجّهة نحو المحتوى يفصح عن هاجس آخر يتمثّل في سعي الباحث إلى تحصين نفسه من الانتقادات التي يمكن أن تُوجّه إليه في الحالات التي لم يُحسن فيها التقدير. فالغاية من استخدام هذا الصنف من الملطّفات تحميل الباحث أقلّ ما يمكن أن يتحمّله من مسؤوليّة تجاه القضايا التي يعبّر عنها حتّى لا تقوم عليه الحجّة إذا ما خطّأه أحد من الباحثين في دراسات لاحقة (نفسه: 443). فدور الملطّفات ههنا العمل على إخفاء صوت الباحث حتّى لا يقدر أحد على تعقّب آثاره و الإمساك به و من ثمّ تخطئته. و يمكن أن ندخل في هذا النوع من الملطّفات تعابير و جمل كثيرة يؤلّف بينها قاسم جامع يتمثّل في تجنّب الباحث الإحالة المباشرة على ذاته و إنفاذ صوته من وراء حجاب و التعبير عن رأيه استنادا إلى جملة من الأبنية التي يختفي فيها ضمير المتكلّم. و مثل ذلك:

- إنّ **الذي يطالع** كتاب سيبويه و يمعن النظر فيه **يلاحظ** ضربا من عدم الانسجام و لربّما اختلال التوازن بينها (المهيري،أعلام:**39**).

- و **ممّا يسمح بهذا الافتراض** حديثهم عمّا يعتبرونه ملحقا بالرباعيّ من أسماء و أفعال مثل بيطر و شملل و كوثر و صيرف (المهيري،من الكلمة:65).

- **و لقائل أن يقول** إنّ مثل هذه المعلومات **يمكن** أن تكون جمعت بعد الخليل (المهيري،أعلام:34).

- و السؤال الذي **يخطر ببال المتأمّل** في نظريّات النحاة هو: لماذا اعتبروا الجملة المبدوءة باسم مردف بفعل جملة اسميّة؟(المهيري،نظرات في التراث النحويّ:45-46).

فالجامع بين هذه الأمثلة- و مثلها كثير- اختيار الباحث طريقة في التعبير لا يكون فيها هو الضامن الشخصيّ للقضايا المعبّر عنها، و لا هو المؤمن إيمانا راسخا بصحّة الاعتقاد الكامن في ما يثبته للوقائع من حالات.

و الرغبة في تحصين الذات ممّا يمكن أن ينالها من ضروب التخطئة و الانتقاد تظهر بوضوح في نوع من الخطاب الجامعيّ يطغى عليه النقد و يتّسم أحيانا بروح السجال. فيكون استخدام الملطّفات الموجّهة نحو الكاتب ضربا من التحسّب لما يمكن أن يؤول إليه الأمر من تبادل سجالي بين الباحث و الطرف الآخر المنقود الذي قد يتحوّل إلى خصم عنيد يقلب المجنّ على الباحث، و يجد في ما أطلقه من أحكام عامّة منافذ يُبرّئ بها نفسه و استثناءات تُقلّل من قيمة النقود الموجّهة إليه. و من الأمثلة الدالّة على استعمال هذه الملطّفات لهذه الغاية القراءة النقديّة المستفيضة التي خصّت بها جليلة الطريطر كتاب محمّد الباردي "عندما تتكلّم الذات". فالنقود التي وجّهتها الباحثة إلى صاحب الكتاب لا تُحصى. و الأخطاء العلميّة التي توقّفت عندها فادحة. و الخاتمة التي خلصت إليها لا تخلو من صراحة موجعة و سخرية مريرة من شأنها أن تثير حفيظة صاحب الكتاب و تستدرجه إلى الردّ الذي سعت الباحثة إلى أن تقلّل حظوظ الخصم فيه، و ألاّ تترك في خطابها شقوقا و منافذ يمكن أن يتسلّل منها ذلك الخصم. لذلك فعلى قدر ما كانت الباحثة لاذعة في نقدها و قاسية في أحكامها، كانت مُواظبة على استعمال الملطّفات لا لغاية تلطيف تلك النقود و الأحكام، بل وقاية لنفسها من الردود المنتظرة.

فالباحثة لا تتحرّج من أن تنعت أحد فصول الكتاب بالتذبذب و التكرار. و لكنّها تقرأ للردّ حسابا، فتخلّل حكمها بجملة من الملطّفات قائلة: " **الملاحظ** في مستوى بنية الفصل **إجمالا** أنّ عرض الإشكاليّة لم يخضع لتحليل تأليفيّ متماسك يفضي إلى نتائج واضحة. و إنّما اتّسم **عموما** بتذبذب الرؤية كما سنرى و التكرار و حتّى الخروج عن حدود الفصل" (الطريطر،2007: 156). و الباحثة لا تتردّد في أكثر من مناسبة في مؤاخذة الكاتب على عدم عودته إلى أهمّ المراجع التي تُعدّ من "المدوّنة النقديّة السير ذاتيّة القاعديّة" و على تعويله المفرط على كتاب جورج ماي في نسخته المترجمة، و لكنّها تتوخّى الحذر و تستخدم عددا من الملطّفات. فهي تذكر في مناسبة أولى: "و هو الكتاب الذي عوّل عليه المؤلّف **بصورة تكاد تكون كلّية في أغلب** القضايا النظريّة التي تطرّق إليها" (157). و هي تقول في مناسبة ثانية: "**يبدو** إذن أنّ المؤلّف كان من أتباع جورج ماي إلى حدّ أنّه تبنّى آراءه دون نقاش **يُذكر**" (157). و هي تتساءل في مناسبة ثالثة قائلة: "فكيف يهجم مؤلّف هذا الكتاب على مشروع ضخم كهذا متسلّحا **بعدد بئيل** من المراجع النظريّة معوّلا **في الأغلب** على المترجم منها"؟ (162).

على هذا النحو عُدّ التلطيف وجها من وجوه تفاعل الباحث مع الفكرة المعبّر عنها. و غير خاف أنّ وظائف التلطيف في هذه المقاربة تظلّ محدودة لأنّها لم تر في اللّغة- و الملطّفات عناصر منها- إلاّ أداة يُعبّر الإنسان من خلالها عن أفكاره و يُنشئ بها متصوّراته، و غضّت في المقابل الطرف عن وظيفة أخرى مهمّة تتمثّل في ذلك البعد التفاعلي الحاصل بين المتكلّم و المخاطَب بموجب استعمال اللّغة، و المُسفر عن نوع العلاقة التي تربط أحدهما بالآخر. و عن هذه الوظيفة التفاعليّة التي تنهض بها اللّغة صدرت مقاربة أخرى تناول أصحابها التلطيف ظاهرةً تنتج عن ضروب من

التفاعل بين المتكلّم و المخاطَب، و جاوزوا ذلك التصوّر الذي يُنيط بالملطّفات وظيفة تحوير المعنى القضويّ للجمل و التقليص من مسؤوليّة المتكلّم تجاه الحقائق المثبتة في ملفوظاته، إلى تصوّر أشمل ينزّل التلطيف في مقام التخاطب و يعدّه واحدة من أبرز الحيل التي يصطنعها المتكلّم لتأمين سير الحوار في كنف التعاون و الهدوء، و تطبيع العلاقة بينه و بين مخاطَبه، و تجنّب ما يمكن أن ينجُم أثناء الحديث من حرج و توتّر قد يقطع حبل الودّ بينهما. و هذا ما سنسعى إلى أن نبسط القول فيه في القسم الموالي من هذا البحث.

التلطيف وجها من وجوه تفاعل الباحث مع القارئ

لقد كان لمفهوم التأدّب(politeness) دور مهمّ في بيان هذا البعد التفاعلي في استعمال الملطّفات أشار إليه براون (Brown) و ليفنسون (Levinson) في كتابهما الشهير (Politeness: Some Universals in Language usage,1987) الذي استوى فيه مفهوم التأدّب منوالا واضح المعالم، انطلق فيه المؤلّفان من فرضيّة مفادها أنّ كلّ فرد من أفراد المجتمع له معرفة بأنّ له و لغيره ماء وجه (face)، هو عبارة عن تلك الصورة التي يريد الفرد أن يتظاهر بها و يدّعيها لنفسه أمام الناس. و لماء الوجه مظهران لاينفكّ أحدهما عن الآخر: مظهر سلبيّ اصطلح المؤلّفان عليه بماء الوجه السلبيّ (negative face). و مداره على مطالبة الفرد بجملة من الحقوق الأساسيّة، من قبيل حقّه في أن يكون له فضاء خاصّ به لا يتمّ اختراقه، و مجال يستأثر به و لا ينازعه فيه أحد آخر، و حقّه أيضا في أن يكون مخيّرا في الأفعال التي ينجزها و متحرّرا من كلّ قيد و إكراه. أمّا المظهر الثاني فهو إيجابيّ و قد نعته المؤلّفان بماء الوجه الإيجابيّ (positive face) و قصدا به ذلك المكوّن الإيجابيّ من صورة الذات. و هو يشمل من جملة ما يشمل رغبة الفرد في أن تحظى الصورة التي يريد أن يقدّمها

للآخرين عن نفسه بالموافقة و التقدير. و الجدير بالذكر أنّ ماء الوجه عند المؤلّفين قيمة قابلة لأن تُوظّف توظيفا نفسيّا. و هو من أبرز الأشياء التي يُوليها الأفراد عناية كبيرة كلّما جمعهم اللّقاء، لأنّهم يعرفون أنّ ماء الوجه إن لم تسهر على تدعيمه و تجميله كان عرضة للإراقة و الضياع. (62-59 :1987)

و تعاون الأفراد على المحافظة على ماء الوجه و صيانته من كلّ أذى يمكن أن يصيبه أو تشويه قد يلحق به، ظاهرة تطغى على جلّ المعاملات الاجتماعيّة و ترجع في تقدير براون و ليفنسون إلى أنّ التفاعل الاجتماعيّ- في أيّ ثقافة من الثقافات-محفوف بكثير من التوتّر و المصادمات، و أنّ عددا من الأعمال التي يروم الفرد إنجازها باللّغة و بما يصحبها من أنظمة تواصليّة تشكّل بالقوّة و الطبع خطرا يهدّد ماء وجه كلّ مشارك و يجعله عرضة للانتهاك. لذلك فمن صالح جميع الأفراد أن يعمل كلّ واحد منهم على صيانة وجه ماء الآخر، و أن يتصرّف على نحو يبعث في الآخرين الاطمئنان و يشعرهم بأنّه يتوخّى الحذر و الحيطة في كلّ ما يتعلّق بالذات و مزاعمها و الصور التي يعرض الأفراد أنفسهم فيها. و المرء العاقل لا يسعه إلاّ أن يتجنّب-ما استطاع إلى ذلك سبيلا- هذه الأعمال التي فيها إرباك لسير المحادثة و إحراج للمتكلّم و لشريكه في الخطاب، فإن لم يجد بدّا من إتيانها التمس جملة من الحيل التي تجعل وقعها أخفّ و الآثار السلبيّة الناجمة عنها أقلّ، محاولا أن يوازن بين رغبته في أن يُبلغ محتوى العمل المهدّد ماء الوجه من جهة، و رغبته في أن يكون ناجعا من جهة ثانية، و رغبته في ألاّ يُريق وجه السامع من جهة ثالثة.

و إذا كانت الطرائق التي يتمّ بها تهذيب الأعمال المهدّدة ماء الوجه بنوعيه كثيرة، فإنّ الذي يهمّنا تنزيل المؤلّفين التلطيف ضمن التأدّب السلبيّ و اعتباره من أبرز الآليّات التي يستعملها المتكلّم لتخفيف القوّة اللاّقوليّة

المضمّنة في العمل الذي يأتيه، و لإشعار المتلقّي بأنّ رغباته و معتقداته محفوظة، و لا توجد نيّة من لدن المتكلّم في إعاقتها أو انتهاكها. هذا بالإضافة إلى ما للملطّفات من دور في تجنيب المتكلّم صرامة الحسم أثناء تقديم آرائه حتّى يترك المجال للمتلقّي لتأويل تلك الآراء استنادا إلى ما يتوفّر له من معارف و كفاءات (1987: 145).

و لا شكّ في أنّ التلطيف ظلّ في هذا المنوال الذي صاغه براون و ليفنسون و تناولا في إطاره ظاهرة التأدّب، مرتهنا بالمدوّنة الشفويّة التي استمدّ منها المؤلّفان أمثلتهما و التي كان التفاعل فيها بين الأفراد مباشرا. و قد كان لهذا المنوال أثر واضح على دراسات تناول أصحابها التلطيف في إطار تحليل المحادثة، منطلقين في ذلك من اعتبار المحادثة مجالا فيه تتشكّل العلاقات بين الأفراد و تتجلّى هُويّات المتكلّمين و انتماءاتهم الاجتماعيّة، و يشيع استعمال الملطّفات وحدات لغويّة و تعابير تتجرّد من كلّ قيمة و معنى إن أنتَ احتكمت إلى ما تحمله من طاقة إخباريّة، و تكون طافحة بالمعنى إن نظرت إلى ما تضطلع به مِن دور في تجسير الفجوة بين المتكلّمين و إظهارهم على درجة من اللّباقة و التأدّب و جعل المودّة بينهم، حتّى لا يفضي الخلاف في الرأي إلى التوتّر و الصدام.

و الحقّ أنّ تناول التلطيف في ضوء هذا المنوال لم يبق حكرا على المحادثات الشفويّة، بل جاوز ذلك ليشمل خطابات مكتوبة من أهمّها الخطاب الجامعيّ الذي كان لمايرس (Myers،1989) فضل السبق في دراسة استراتيجيّات التأدّب في المقالات العلميّة، و تنبيه الدارسين إلى أنّ التلطيف ظاهرة لا يقلّ استعمالها في هذا النوع من الكتابة عمّا هو موجود في التفاعل الشفويّ، و أنّه جزء من ظاهرة أشمل هي التأدّب طريقةً يتوسّل بها الباحث كي يقلّص ممّا يمكن أن يلحق وجوه الباحثين الآخرين من إساءة جرّاء الادّعاءات و التصريحات التي تحتوي عليها كتاباته.

فغاية الباحث- في أيّ مجال كان- أن يصبح قيمة علميّة معترف بها ضمن الوسط العلميّ الذي ينتمي إليه، و أن يُحرز على ثقة نظرائه من الباحثين. و لكن دون هذه الغاية آراء واضحة و وجهات نظر ثابتة يسعى الباحث إلى تقديمها و التعبير عنها تعبيرا لا يجد في بعض الأحيان بدّا من تلطيفه و تهذيبه، لأنّ في بعض تلك الآراء تحدّيا لما يُتداول في الاختصاص من فرضيّات و نظريّات و تقويضا لما يبنيه بعض الزملاء من أنساق و بناءات نظريّة. فالملطّفات في الخطاب الجامعيّ أسلوب رفيع يُؤثره الباحثون لأنّه يُمكّنهم من الجمع بين أمرين يعزّ الجمع بينهما و لا يمكن التفريط في أحدهما: أن يجهر الباحث برأيه و ما توصّل إليه من كشوفات من جهة، و أن يُظهر تواضعه و عدم امتلاكه القول الفصل في المسائل التي يطرقها و يكشف في الآن ذاته عن إخلاصه للوسط العلميّ الذي ينتمي إليه من جهة أخرى. (نفسه :5)

و التلطيف في تقدير ماير ظاهرة تُستخدم أكثر ما تُستخدم في التعبير عن جديد المعارف و طريف الآراء التي لم تُحرز بعدُ على موافقة الدوائر العلميّة و لم تكتسب صفة الحقائق الثابتة. فإذا شاعت الفكرة و باتت من المشهور الذي يتمّ تداوله و الإحالة عليه و صارت من المسلّمات التي لا يمكن الطعن فيها و الاعتراض عليها، لم تعد هناك حاجة إلى تلطيف الجمل و القضايا.(نفسه:13)

و إذا كان العجز عن إثبات المزاعم بالأدلّة الكافية سببا يضطرّ الباحث الجامعيّ إلى استعمال الملطّفات حتّى يخفّف من قوّة تلك المزاعم، فثمّة مناسبات أخرى يكون فيها التلطيف اختيارا يأتيه الباحث حتّى يقذف الظنّ في ذهن القارئ بأنّه إزاء كاتب لا يدّعي امتلاك القول الفصل في المسألة التي يعالجها. فمن غير الحكمة أن يفرط الباحث في الوثوقيّة في مرحلة أمسى فيها الشكّ و الاحتمال من أبرز ما يتّصف به العلم و المعرفة،

و بلغ التقاطع بين الاختصاصات درجة لم يعد من الممكن معها أن يدّعي باحث الإحاطة بسائر المعارف التي تدخل في دائرة اختصاصه حتّى و إن أوتي ذلك الباحث من العلم كثيرا.

و أثر التلطيف في تحديد طبيعة العلاقة القائمة بين الباحث و القارئ يظهر بوضوح في ما سمّاه هايلند بالملطّفات الموجّهة نحو القارئ (reader-oriented hedges)، منطلقا في ذلك من أنّ الباحث يسقط شخصيّة مّا على البحث، و أنّ ملامح تلك الشخصيّة تسهم في بلورتها الطريقة التي يقدّم بها الباحث مزاعمه و ادّعاءاته، و أنّ للملطّفات دورا مهمّا في تحسين صورة الباحث لدى القارئ لما تضفيه على تلك المزاعم من نسبيّة بفضلها تصبح آراء الباحث و تصريحاته مفتوحة على النظر و النقاش، صادرة عن وجهة نظر يحقّ للقارئ أن يصدر عن غيرها. فاستعمال الملطّفات في عرض المزاعم من شأنه أن يُظهر الباحث حريصا على التفاعل مع قارئه و التعامل معه بندّية و إحلاله محلّ الشريك المتعاون الذي يقدر بفضل ما يتمتّع به من فطنة و ذكاء على الإسهام في إغناء الفكرة و مناقشتها. و في ذلك كياسة يتحلّى بها الباحث حتّى يشعر قارئه بأنّه ممّن يشاركه الرأي و يقاسمه وجهة النظر (Hyland , 1996، 446).

و استعمال الملطّفات الموجّهة نحو القارئ يأتي أيضا استجابة لنواميس البحث التي تضطرّ الباحث إلى أن يحترم وجهات نظر غيره من الباحثين و يقلّل ما استطاع من الثقة بنفسه و ينخرط مع نظرائه الباحثين في حوار علميّ و بنّاء. فهذه الملطّفات تعكس درجة احترام الباحث للقارئ و لما استتبّ في الدوائر العلميّة من قواعد و أعراف لا يمكن للباحث أن يضرب بها عرض الحائط إذا أراد أن يكون قيمة علميّة في الاختصاص الذي ينتمي إليه، و أن يحظى في الدوائر العلميّة بالاحترام و

التقدير و تحظى بحوثه بالنشر في المجلاّت المرموقة، و من ثـمّ تصـبح مـن المراجع المعتمدة في ذلك الاختصاص.

و هذا الصنف من الملطّفات يستعمل أكثر مـا يسـتعمل في المـواطن التي يعبّر فيها الباحث عن خلافه في الرأي مع غيره من الباحثين تعبيرا فيـه يُتجنّب الصـدام و تُطمـس مظـاهر الخـلاف الحـادّ و تُلطّـف الانتقـادات الموجّهة إلى الآخرين. كأن يقدّم الباحث رأيه في المسألة على أنّـه لا يعـدو أن يكون خاطرا من الخواطر. و هذا ما نجده في قـول أحـدهم: "و إنّـا إذ نعود إلى الموضوع و إلى آراء ماركس و من اقتفى أثره من الدارسين العرب، فليس للتعليق على محتوى هذه الآراء. و إنّما لنعـبّر عـن بعـض **الخـواطر** في المنهج المتوخّى في عرضها و تأييـدها، و **لنحـاول** إقامـة الـدليل عـلى أنّ في النحو من المعطيات ما يدلّ على أهمّية المشاغل اللّغويّة التي كانـت تشـغل بال النحاة" (المهيري، نظرات:86).

و من مظاهر تجنّب إبراز الخلاف إعـراض الباحـث عـن رمـي آراء غيره من الباحثين بالخطإ و تقديمها على أنّها ممّا يعسر تصـديقه. و هـذا مـا يظهر في قول أحد الباحثين:"و **من العسير-في نظرنـا**-أن نعتـبر مثـل هـذه الإرشادات من شأنها أن تكوّن حججا تقنع بتـأثّر النحـو العـربيّ بـالمنطق اليونانيّ (...). **من العسير** ألاّ نشكّ في ذلك، و أن نتصوّر أنّه يتسنّى بناء علم جديد على أسس مستعارة لم تؤخذ من مصادرها مباشرة" (نفسـه:90-91). و إرخاء العنان (concession) ضرب آخر من التلطيف الموجّه نحو القارئ يسعى فيه الباحث إلى تقريب الشقّة بينه و بين من ينقده، و إلى الظهور في مظهر المتّفق معه في عدد من المسائل ليتّخذ من ذلـك منفـذا إلى الطعـن في الـرأي الـذي يعـرض لـه. و مثـل ذلـك مـا ورد في قـراءة المهـيري كتـاب "التصريف العربيّ" لمؤلّفه الطيّب البكوش، حيث قال: "**و لا خـلاف مـع المؤلّف في** أنّ تصوّر النحاة العـرب للصرف لا نطمـئنّ إليـه اليـوم كامـل

الاطمئنان. **و لاجدال في أنّ** محاولته نموذج لكيفية تجديد الصرف العربيّ. **إلاّ أنّ** طرافة هذا النموذج لا تظهر واضحة إلاّ إذا خلا من المآخذ التي تؤخذ على القدماء أو السابقين (...) فالأستاذ البكوش ينتقد -**عن صواب أحيانا**-الالتباس الذي يلاحظ في المصطلحات مثل حرف ..و ذلك لتعدّد معانيها. **و لكن** هل تمكّن من اجتناب هذا في مصطلحاته؟" (نفسه:210)

و ليس من باب الصدفة أن يشيع استعمال هذا الصنف من الملطّفات في جنس من أجناس الخطاب الجامعيّ يشكّل ركنا قارّا في المجلاّت العلميّة المتخصّصة و يتمثّل في مراجعة الكتب (book reviews)، و عرض محتواها عرضا وجيزا يسعى فيه المقدّم إلى تحقيق ضرب من التوازن بين التنويه بالجوانب الإيجابيّة في الكتاب المقدّم و التنبيه على ما فيه من نقائص و هنات. فمدار هذا الجنس من الخطاب على أحكام قيميّة يصدرها المقدّم في شأن الكتاب الذي هو بصدد تقديمه، و يسعى في أغلب الأحيان إلى تخفيف حدّتها، و لا سيّما إذا تعلّق الأمر بنقد يمكن أن يشكّل تحدّيا لصاحب الكتاب المقدّم (Hyland،2000 :41).

فاستعمال الملطّفات في هذا الجنس من الخطاب استراتيجيّة يعتمدها المقدّم إلى جانب ثلاث أخرى كي يتمكّن من إنجاز تلك الأعمال التقويميّة على النحو الذي يضمن له المحافظة على علاقة جيّدة بكلّ من القارئ و صاحب الكتاب (Mackewicz ، 2007 :206). فإذا كان من وظائف التلطيف في معظم الخطابات الجامعيّة بيان درجات معرفة الباحث بالفكرة التي يعرضها و مدى التزامه بصحّة القضايا التي يعبّر عنها، فإنّ أبرز غاية من استعمال الملطّفات في هذا الجنس التقويميّ تتمثّل في تفادي ما يمكن أن يلحق علاقة المقدّم بالقرّاء عامّة، و بمؤلّف الكتاب على وجه أخصّ من أضرار جرّاء الملاحظات النقدية التي لا مفرّ له من إبدائها في شأن الكتاب المقدَّم (Hyland،2000 :56). و هذا ما يظهر بوضوح في ما ختم به عزّ

الدين المجدوب تقديمه أطروحة محمّد الشاوش حول أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة.

يقول المقدّم: "إنّ هذا العمل حصيلة ثريّة لسنوات طويلة من العمل الدؤوب الذي أتاح لصاحبه معرفة دقيقة بالتراث النحويّ و البلاغيّ العربيّ و اطّلاع عميق على ما جدّ في اللّسانيّات من نظريّات سمحت له بإقامة حوار علميّ ثريّ بينهما. و قد وُفّق في الكشف عن مظاهر علميّة طريفة في التراث لم يُسبق إليها **في ما نعلم. إلاّ أنّه رغم تقديرنا للعمل و قيمته** نرى أنّ الفرضيّتين اللّتين قامت عليهما الأطروحة **تحتاجان إلى تعديل**. بالنسبة إلى الفرضيّة الأولى **يبدو** لنا أنّ الباحث لم يثبت **رغم ما بذله من جهد** وجود نحو للنصّ أو للخطاب **بالمعنى الدقيق للكلمة** الذي يطلق على العلاقات النظاميّة التي تعقد بين مكوّنات الجملة. و بناء عليه فإنّ نقده للسانيّين الذين اعتبروا الجملة الوحدة القصوى للتحليل **يفقد وجاهته**. لذلك **يبدو** لنا اعتباره الجمل المكوّنات المباشرة للنصّ **مجرّد استعمال مجازيّ**. بالنسبة للفرضيّة الثانية، فإنّنا **نودّ أن** نلفت الانتباه إلى أنّ الآليّات و المفاهيم اللّسانيّة التي تشبّع بها الباحث هي التي مكّنته من إعادة قراءة التراث النحويّ و الكشف عن مواطن الطرافة فيه. لذلك ينبغي أن يُحمل حماسه للمنوال النحويّ العربيّ على أنّه ردّ فعل على الانبهار باللّسانيّات الذي ساد في العقود الماضية لا على أنّه تعصّب للتراث" (2008 : 359)

فالتلطيف في هذا الشاهد الذي أوردناه مطوّلا استراتيجيّة بارزة اعتمدها المقدّم في مستويين:مستوى أوّل يهدف فيه التلطيف إلى تخفيف حدّة العمل التقويميّ الأكبر (توجيه النقد إلى الكاتب). و ذلك بتوخّي المقدّم أسلوبا لم يكن فيه المدح شبيها بالذمّ على النحو الذي نجده في البلاغة العربيّة القديمة، بل كان المدح فيه أداة تمهّد السبيل للنقد و تُهيّئ كلاّ من المقدّم و صاحب الأطروحة للدخول في مرحلة من الحوار الجادّ

الـذي يُكشـف فيـه النقـاب عـن السـلبيّات، و عـن هشاشـة الأسـس و الفرضيّات التي انبنت عليها الأطروحة. أمّا المستوى الثـاني مـن التلطيـف فمداره على الجمل. و المقصـود بـه تلطيـف الأعـمال التقويميّـة الصـغرى (حاجـة الفرضـيّتين إلى التعـديل، نقـد الفرضـيّة الأولى، نقـد الفرضـيّة الثانية...). و ذلك من خلال جملة من الملطّفـات التـي كثّـف المقـدّم مـن استعمالها في قسمي المدح و النقد و نوّع في صـيغها. (في مـا نعلـم، إلاّ أنّـه رغم تقديرنا للعمل و قيمته، تحتاجان إلى تعديل، رغم ما بذلـه مـن جهـود، يبدو، يفقد وجاهته، نودّ أن نلفت...).

و التلطيف في الخطـاب الجـامعيّ ظـاهرة جعلهـا دارسـون آخـرون بسبيل من طبيعة المجال الذي يكتب فيه الباحث، و ما تواضع عليـه أهـل الاختصاص من قواعد في التأليف و أساليب في الكتابـة. و هـذا مـا يجعـل استخدام التلطيف يختلف من اختصاص إلى آخر. إلى هذه النتيجة خلـص فارتالا في أطروحته التي تناول في قسم منها ظاهرة التلطيـف في عـدد مـن المقالات تنتمي إلى ثلاثة اختصاصات هي الاقتصاد و الطـبّ و التقنيـة، و انتهى إلى أنّ الباحث في الاقتصاد يفوق نظراءه في مجالي التقنية و الطبّ من حيث استخدام الملطّفات في مقالاته. (2001: 248-255)

و قد عزا فارتالا هذا التفاوت إلى جملة من العوامل لعـلّ مـن أبرزهـا اختلاف مواضيع البحث و مـا يسـتخدم في كـلّ اختصـاص مـن أدوات و مناهج و الطبيعة العامّة لكلّ اختصاص. و التنوّع في اسـتخدام الملطّفـات ظاهرة لاحظها فارتالا و هو ينظر في حظّ كلّ قسم من التلطيـف و يُحصي عدد الملطّفات المستخدمة فيه، منتهيا إلى أنّ قسمي الخاتمـة و النقـاش مـن أكثر الأقسام استئثارا بالملطّفات و أنّ قسم المقدّمة يـأتي في المرتبـة الثانيـة (251)، مؤكّدا بذلك ما انتهت إليه سلاجر ماير (1994) من قبلـه في مقـال لها تعقّبت فيه استخدام خمسة أنواع من الملطّفات في جنسين مـن الكتابـة

الطبّية هما التقرير الطبّي و الورقة العلميّة. فقد لاحظت الباحثة اختلافا واضحا بين هذين الجنسين من حيث تواتر ظاهرة التلطيف في كلّ واحد منهما. و وجدت علّة التفاوت تكمن في كون الورقة العلميّة جنس من الكتابة لا يخلو إلى جانب البعد الإخباريّ من غاية إقناعيّة يسخّر لها الباحث جملة من الأساليب من بينها الملطّفات. بينما التقرير الطبّي يتجرّد من تلك الطاقة الإقناعيّة، و من ثمّ يتقلّص فيه استخدام الملطّفات، لأنّ منتهى غاية محرّره مجرّد الوصف و الإخبار. و حتّى في إطار الورقة العلميّة، فإنّ استخدام الملطّفات لا يجري على وتيرة واحدة في مختلف أقسامها. و هو تفاوت يرجع إلى أنّ غايات الباحث تختلف من قسم إلى قسم اختلافا يجعل حضوره متقلّصا في هذا القسم و متضخّما في قسم آخر، و يجعل بالاستتباع تواتر الملطّفات كثيفا في القسم الذي يتضخّم فيه ذلك الحضور و ضعيفا في القسم الذي يخفت فيه صوت الباحث.

و من الطبيعيّ أن يكون القسم المخصّص لتقديم المنهج المتّبع في البحث من أقلّ الأقسام احتواء على الملطّفات مادام العرض فيه غالبا على التحليل و التأليف. أمّا المقدّمة فنصيب الملطّفات فيها أوفر لأنّها القسم الذي يحرص فيه الباحث على إبراز طرافة بحثه و على أنّ له في الموضوع وجهة نظر مختلفة عمّن سبقه. لذلك تراه يُكثر من الملطّفات أداةً يبني بها حججه و يستعين بها على إقناع قارئه. و يبقى قسما النقاش و الخاتمة من أكثر الأقسام استئثارا بالملطّفات. و هو أمر أرجعته سلاجر ماير إلى أنّ الباحث في هذين القسمين لا يجد بدّا من مقارعة رأيه بآراء غيره من الباحثين و إبراز مواطن الخلاف بين ما توصّل إليه من نتائج و ما انتهى إليه غيره في الموضوع نفسه.

هكذا يتبيّن لنا من خلال هذه النماذج أنّ في استعمال الملطّفات سياسة يتوخّاها الباحث، و أنّ درجة حضور الذات في الخطاب تختلف

بحسب نوع الملطّفات المستخدمة و الاستراتيجيّة التي يعتمدها الباحث في اختيار الملطّفات التي تناسب مقاصده. و في ذلك دليل على أنّ نجاح الباحث في استقدام ذاته إلى الكتابة، يتوقّف في جزء كبير منه على مدى قدرته على تصريف الملطّفات و معرفته بمواطن استعمالها و وجوه توظيفها. و هذا ما يجعل التلطيف تقنية من تقنيات الكتابة الجامعيّة ينبغي أن يتعلّمها الباحث المبتدئ مثلما يتعلّم التقنيات المتعلّقة بطرائق الإحالة و التوثيق و إنجاز الفهارس و إعداد قائمتي المصادر و المراجع.

عَلِّمْ الطلبة الباحثين كيف يستقدمون ذواتهم إلى البحث بدل أن تعلّمهم كيف ينبذون ذواتهم:

من الخطإ أن نختزل الكتابة الجامعيّة في البعد التقني، و نهمل في المقابل بعدا آخر مهمّا لم نجد الدارسين العرب لدقّته و خفائه يشيرون إليه و يبصّرون الباحث المبتدئ بقيمته، و بما يكون له من أثر في المحتوى المعرفيّ الذي يريد الباحث إيصاله إلى القارئ. نعني بذلك تلك الصورة التي يخرج بها القارئ بشأن الكاتب و التي تسهم في تشكيلها عناصر لغويّة شتّى ما الملطّفات إلاّ واحد منها. فالتحدّياتُ التي تُواجه الباحث المبتدئ- و هو يُقبل على تحرير بحثه- لا تقتصر على حذقه قواعد المنهج و أصول البحث و التمكّن من الكتابة، و إنّما تتعدّى ذلك كلّه إلى بُعد أخفى و أعمق يتعلّق بهويّة الباحث المتشكّلة في خطابه و بكيفيّة استقدامه ذاته إلى الكتابة و وجوه حضوره فيها، و ما يتوفّر له في ذلك من إمكانات على قدر وعيه بها و قدرته على اختيار المناسب منها، تكون الانطباعات الحاصلة حوله إيجابيّة و الصور المتشكّلة له في النصّ جذّابة و مغرية.

و لمّا كانت صورة الذات في الخطاب من الأمور التي لا يمكن للباحث تجنّبها لأنّها ممّا يلازم فعل الكتابة- مهما كان نزوع الكتابة إلى الموضوعيّة- فمن باب أولى و أحرى أن نطوّر وعي الباحثين بهذا البعد

اللّطيف في الكتابة حتّى يكون لهم فيها حضور يمكّن للمضامين التي يسعون إلى إبلاغها و يساعد على تفاعل القارئ معها، و من ثمّ ييسّر- اندماج أولئك الباحثين في الجماعة الخطابيّة التي يرومون الانتماء إليها. فبدل أن نُقيم بين الذات و التلطيف تعارضا توحي به تلك الدعوات المنادية بالكفّ عن استخدام ضمير المتكلّم و الاستعاضة عنه بعدد من الملطّفات، يحسن بنا أن نعلّم الباحثين الناشئين كيف يُحضرون ذواتهم إلى الكتابة من خلال استعمال الملطّفات.

من هذا المنطلق تبدو لنا صورة الباحث في خطابه و طرائق حضوره فيه و الظواهر اللّغويّة المشكّلة لتلك الصورة و الكاشفة عن هذا الحضور، من المسائل التي لم يعد من الممكن غضّ الطرف عنها حين نهمّ بوضع كتب في كيفيّة تحرير البحوث و إعداد الرسائل الجامعيّة. فالباحث المبتدئ في حاجة إلى من يبصّره بمثل هذه الأمور التي يُعدّ التلطيف من أكثرها دقّة و خفاء، لما يتطلّبه استعمال الملطّفات الاستعمال المناسب من كفاءة عالية لا تتوفّر بالضرورة لدى كلّ من ملك ناصية النحو و أجاد التعبير و الأداء، و لا تُكتسب إلاّ بجملة من الدروس و التمارين التي تمكّن الطالب الباحث من إتقان هذه التقنية حتّى يصير عارفا بالمواضع التي يحسن فيها استخدام الملطّفات و بالخصائص التي تميّز كلّ ملطّف من غيره من الملطّفات، و بما يترتّب على استعمال كلّ ملطّف من حضور للباحث في خطابه تختلف درجاته و تفاعل القارئ معه من ملطّف إلى آخر.

و ممّا يساعد على إتقان هذه التقنية تنبيه الطالب إلى أنّ التعبير عن الشكّ يكون حين ينتفي اليقين، و أنّ من يُفرط في الوثوقيّة كمن يبالغ في الشكّ، و أنّ الالتزام المطلق بصحّة القضايا قد يعرّض صاحبه للنقد، و أنّ ملازمة الحذر و المبالغة في التردّد و الشكّ و عدم الميل إلى رأي واضح

خصال لا تنفع في مواطن يُنتظر فيها من الباحث أن يكون من أصحاب الرأي الواضح و القول الحاسم. و من أوضح الأمثلة على ذلك تذبذب عز الدين إسماعيل في مسألة النثر العربيّ في الجاهليّة، و عدم تبنّيه رأيا يقينيّا أو يقرب من اليقين. و هذا ما جعل محمّد القاضي ينحو عليه باللاّئمة قائلا: "إنّه [يقصد رأي محمّد كرد علي] شبيه بما نعثر عليه عند باحث آخر هو عزّ الدين إسماعيل. و هو لا يكاد يميل إلى رأي في المسألة واضح. و إنّما يقول: "متى دوّنت هذه الحكايات؟ ربّما بدأ تدوينها في العصر- الجاهليّ نفسه. و إن كنّا لا نملك الوثائق التي تؤكّد هذا. و لكنّ المرجّح أن يكون تدوينها قد بدأ في عصر معاوية.(...) و ربّما كان كتاب التيجان لوهب بن المنبّه و كتاب أخبار ملوك اليمن لعبيد بن شرية الجرهمي أوّل كتابين صنّفا في القصص." إنّ اكتظاظ هذا الرأي بربّما و المرجّح يحدّ بلا شكّ من قيمته و يحصر جدواه في الإيحاء بمعالجة الموضوع معالجة مبتكرة. فماذا ترانا نغنم من إشارة الباحث إلى أنّ تدوين القصص ربّما يكون قد بدأ في العصر- الجاهليّ"؟ (القاضي،1998 :136).

و المطلوب أيضا أن نبصّر الطالب بأنّ استخدام الملطّفات ينبغي أن يكون بسبب من أقسام البحث، و بما ينهض به الباحث في كلّ قسم من تلك الأقسام من أدوار خطابيّة متنوّعة لكلّ منها صنف من الملطّفات يناسبه. فدور الباحث في القسم الذي يعرض فيه أعمال غيره و ما كُتب في الموضوع من دراسات، يختلف عن دوره في القسم الذي يبسط فيه نتائج بحثه. و الملطّفات التي تناسب الدور الأوّل غير تلك التي تنفع في أداء الدور الثاني. و حتّى في القسم الواحد فإنّ في استعمال الملطّفات خفايا يحسن أن يكون الطالب على بيّنة منها. ففي حالة عرض الآراء و تقديم المراجع المتعلّقة بالموضوع ثمّة ملطّفات إذا استعملها الطالب انفصل صوته عن صوت من ينقل عنه، و صار له موقف ممّا يستعرض، و غدا من ثمّ طرفا

في القضايا المعبّر عنها. و هذا ما يُضفي على عرضه طابعا نقديّا نعدمه في حالات أخرى كثيرة لا نجد الباحث فيها يُحسن استعمال الملطّف المناسب الذي يجعله ينهض بدور الوسيط بين القارئ و ما ينقله من قضايا، لا و لا يمكن أن نستشفّ من ذلك أيّ موقف رافض أو مناصر للكلام الذي ينقله.

فمثلما يكون للملطّفات دور في بيان درجة اعتقاد المتكلّم في القضيّة التي يعبّر عنها، يكون لها دور في الكشف عن موقف المتكلّم من المزاعم و الإثباتات التي ينقلها عن غيره. و في ذلك دليل على أنّ للباحث حضورا في ما ينقله عن غيره من أقوال، و أنّ نقل الأقوال حتّى و إن تمّ على الحكاية هو فعل لا يتمّ إلاّ بواسطة و لا يكون إلاّ من اثنين لا يخلو اللّقاء بينهما من مجابهة و صراع: الذات المرويّ عنها و الذات الراوية. لذلك يحسن بالطالب –و هو يعرض آراء غيره و ينقل أقوال الباحثين- أن يحدّد موقعه من الأقوال التي ينقلها و موقفه منها و درجة حضوره فيها، حتّى يعرف وجوه التلطيف التي تناسب كلّ اختيار.

فإذا اختار الحياد استخدم "قال" و "ذكر" و "ورد على لسان". و إذا أراد أن يكون طرفا مناصرا و مؤيّدا للقول الذي ينقله، سخّر لهذه الغاية ملطّفات من قبيل: "و لعلّ ما ذكره فلان يكون أقرب إلى الحقيقة". و "قال فلان و في قوله ما يؤكّد التوجّه الذي سلكناه". و "من الآراء التي يمكن أن تفيدنا في هذا السياق ما جاء على لسان فلان قائلا". أمّا إذا شاء الباحث أن يهمس في أذن القارئ أنّه ينقل قولا لا يشاطر صاحبه الرأي فيه، فثمّة ملطّفات أخرى تشفّ عن هذه البينونة و تُظهر ذلك الخلاف. و مثل ذلك: "زعم" و "ادّعى" و "قال و في قوله تناقض غير قليل"، وغير ذلك من وجوه التدخّل التي قد تجيء في أبنية لغويّة أكثر تعقيدا نكتفي بمثال منها يقول فيه الباحث: "أمّا طودوروف **فيقرّر بوحي من بنيويّة صارمة مشوبة ببصمة وضعيّة لاشكّ فيها** أنّ المنهج هو الذي يبدع الموضوع و أنّ

الموضوع معتبر بوصفه مفهوما مفهوما في المقام الأوّل و أنّه إذن الأدب"(ابن رمضان، 2001: 28).

و في استخدام الملطّفات أثناء عرض النتائج حذر ينبغي أن يتوخّاه الباحث حتّى لا تزلّ به القدم و يسقط في مطبّين: يتمثّل أوّلهما في غبن جهوده و هضم إسهامه جرّاء ما يستعمله من ملطّفات تُظهره قليل الثقة في ما يقول كثير الشكّ في ما يخلص إليه من نتائج، و يتمثّل ثانيهما في ثقة مفرطة يُظهرها الباحث في القسم المتعلّق بعرض النتائج، و كأنّ ما انتهى إليه هو الحقّ لا ريب فيه. فاستخدام الملطّفات ههنا على غاية من الدقّة. و القصد منها إظهار الباحث على صورة لا يبدو فيها مباهيا بإسهامه إلى حدّ الغرور، و لا واثقا بنتائج بحثه إلى حدّ الإفراط، و لا مقلّلا من قيمة كشوفاته و طرافة أفكاره في الآن نفسه. و هي معادلة صعبة استطاع عبد القادر المهيري بحقّ أن يجمع بين طرفيها حين ختم أحد كتبه قائلا:"**إنّنا مقتنعون** بأنّ التراث النحويّ العربيّ ليس ركاما من شتات المعطيات و جزئيّ الملاحظات و متباين الأقوال و الآراء، بل هو بناء يقوم على منطق ضمنيّ **لا ندّعي** أنّه ناتج عن تصوّر مسبق، و أنّه مثّل إطارا التزم به النحاة عن وعي منذ البداية. لكن **يبدو لنا** أنّ ما قام به النحاة من وصف لنظام اللّغة العربيّة و تقعيدها و تعليل قواعدها، يرجع في كلا بابي النحو و الصرف إلى رؤية شاملة لمعطيات الباب و تصوّر عامّ **لما نسمّيه اليوم** بنظامه" (1998 :187).

المصادر و المراجع

1- المصادر:(المقالات و الكتب التي استقينا منها نماذج من التلطيف)

- بن رمضان (فرج): الأدب القديم و نظريّة الأجناس، دار محمّد علي الحامّي، تونس،2001.

- الطريطر (جليلة): قراءة نقديّة في كتاب "عندما تتكلّم الذات"، الكرّاسات التونسيّة، عدد:199-200، 2007.

القاضي (محمّد): الخبر في الأدب العربيّ، منشورات كلّية الآداب منّوبة، تونس، 1998.

المجدوب (عزّالدين): تقديم كتاب "أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة: تأسيس نحو النصّ"، حوليّات الجامعة التونسيّة، عدد: 52 ، 2008.

المهيري (عبد القادر):

- أعلام و آثار من التراث اللّغويّ العربيّ، دار الجنوب للنشر،تونس،1993.

- نظـرات في الـتراث اللّغـويّ العـربيّ، دار الغـرب الإسـلامي، بيروت، 1993.

- من الكلمة إلى الجملة، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد اللّه للنشر و التوزيع، تونس، 1998.

2- المراجع:

أ- المراجع العربيّة:

- الصماري (محمّد عمر): أسلوب التلطيف في اللّغـة العربيّـة، مجلّـة القلم، العدد الثاني، شتاء 2000.

- عبيد (حاتم): التشكّل الخطابي لهويّة المؤلّف في الكتابة الجامعيّـة من خلال استعمال ضمير المتكلّم: مُقدّمات رسائل الماجستير أنموذجا، مجلّة فصول، العدد 77، 2010.

- عبيدات (محمّد) بالاشتراك: منهجيّـة البحـث العلمـي: القواعـد و المراحل و التطبيقات، كلّية الاقتصاد و العلوم الإداريّة، الجامعة الأردنيّة، 1999.

- فضل اللّه (مهدي): أصـول كتابـة البحـث و قواعـد التحقيـق،ط 2،دار الطليعة، بيروت،1998.

ب- المراجع الأجنبيّة

- Brown, P. and Levinson, S.(1987) : Politeness: Some Universals in Language usage. Cambridge University Press.

- Crompton, P.(1997) : Hedging in academic writing: some theoretical problems. English for Specific Purpose. Vol. 16, No.4

- Crompton, P.(1997) : Identifying Hedges: oise çDefinition or Divination? Peter Crompton responds to Fran reply "Language is Not a Physical Object". Salager-Meyer's English for Specific Purposes, Vol. 17, No. 3

- Flottum, K. (2005): The self and the others – polyphonic visibility in research articles. International Journal of Applied Linguistics, N.15

- Hyland, K.(1996) : Writing without conviction ? Hedging in science research articles. Applied Linguistics.Vol. 17, No.4

- Hyland, K.(1998) : Hedging in scientific research articles. Amsterdam: John Benjamins.

- Hyland, K.(2004) : Disciplinary Discourses: Social Interactions in Academic Writing. The University of Michigan Press.

- Hyland, K.(2005a) : Metadiscourse: Exploring Interaction in Writing. Continum, London.

- Hyland, K.(2005b) : Stance and engagement: a model of interaction in academic discourse. Discourse Studies. Vol. 7(2)

- Hyland, K.(2008) : Persuasion, Interaction and the Construction of Knowledge: Representing Self and others in Research Writing. IJES, vol. 8 (2)

- Lakoff, G.(1973) : Hedges: a study in meaning criteria and the logic of fuzzy concepts. Journal of Philosophical Logic N.2

- Mackiewicz, J.(2007) : Compliments and Criticism in Book Reviews About Business Communication. Journal of Business and Technical Communication Vol. 21, No.2

- Martin-Martin, P.(2008): The mitigation of scientific claims in research papers: a comparative study. IJES, vol. 8 (2)

- Myers, G. (1989). The pragmatics of politeness in scientific articles. Applied Linguistics. 10

- Petric, B.(2007) : Rhetorical functions of citations in high- and low-rated master's theses. Journal of English for academic Purposes. No. 6

- Rabatel, A.(2004) : Effacement énonciatif et effets argumentatifs indirects dans l'ncipit du Mort qu'il faut de Semprun. SEMEN, Revue de sémio-linguistique des textes et discours. No. 17

- Salager-Meyer, F.(1994) : Hedges and textual communicative function in medical written discourse. English for Specific Purposes.Vol. 13, No. 2

- Skelton, J.(1997) : The representation of truth in academic medical writing. Applied Linguistics.Vol. 18, No. 2

- Tang, R.(2006) : Addressing self-representation in academic writing in a beginner's EAP classroom. Journal of Language and Learning. Vol. 5, No. 2

- Varttala, T.(2001) : Hedging in scientifically oriented discourse exploring variation according to discipline and intented audience. Doctoral dissertation, Universitatis Tamperensis 138 (on line).

- Vold, E.T.(2006) : Epistemic modality markers in research articles: a cross-linguistic and cross-disciplinary study. International Journal of Applied Linguistics. Vol. 16,No. 1

- woodward-Kron, R .(2004) : Discourse communities' and 'writing apprenticeship: an investigation of these concepts in undergraduate Education students'writing. Journal of English for Academic Purposes. No. 3

ملحق في نماذج من التلطيف في الخطاب الجامعيّ من خلال كتاب عبد القادر المهيري: "من الكلمة إلى الجملة: بحث في منهج النحاة "

- **إنّ الناظر** في أمّهات كتب التراث النحويّ (...) **يلاحظ** أنّها تجمع بين القواعد و الجهاز التفسيريّ، ص 11

- ترد **غالبا** بصفة عرضيّة للدفاع عن رأي أو تبرير استعمال 11

- لذا **تبعث طريقة العرض** على التساؤل عن مدى وجود منهج ضمنيّ 11

- ألا يوجد بين **ما يبدو من تعليلات جزئيّة ضرب** من التكامل و التناسق11

- و **نعتقد** أنّ كبار النحاة كان لهم تصوّر لمستندات منهجهم 11

- و **يبدو لنا** أنّ من غايات أقدم المؤلّفات (...) استخراج المنطلقات و المبادئ العامّة أنّ **ما اصطلح على** تسميته بأصول النحو نوعان 12

- و **ما يمكن** استنتاجه من هذا التصنيف 12

- و نروم لهذا البحث أن يكون **محاولة** لاستخراج عناصر تصوّر عامّ 12

- **و من الطبيعيّ** أن تكون الكلمة و الجملة محوري هذا البحث جمعنا حولهما **كلّ ما بدا لنا** منتميا إلى 12- 13

- **و لا يخفى أنّ** هذا العمل يفترض تصوّرا عامّا لهذه البنية 13

- **و ما يمكن** أن يكون قد أضافه الخلف إلى ما قاله السلف هو-**في نظرنا**-تحليل و تعميق 13

- و **يكاد** أبو حيّان الأندلسيّ ينقل كلام ابن عصفور20

- و **لعلّه** يشير إلى الزيادة للإلحاق 20

- **و على كلّ** فمجال التصريف هو في آن واحد قسم من مجال النحو في معناه العامّ 21

- **و ليس من المستبعد** أن تكون الظاهرة اللّغويّة 27

- **و مهما كان الأمر** فقد اعتمدت الجملة 28

- و القصور عن تحديدها تحديدا علميّا متأتّ عن الافتقار-**في الوقت الراهن على الأقلّ**- إلى ضوابط 28

رأينا من المفيد أن نشفع هذا المقال بنماذج من التلطيف في الخطاب الجامعيّ حتّى يلاحظ القارئ معنا جريان هذه الظاهرة في كتابات باحث هو الأستاذ عبد القادر المهيري، لم نجد في أعمال غيره ما وجدناه عنده من استعمال مكثّف للتلطيف و تنويع في الصيغ و التراكيب التي يتأدّى بها و المواضع التي يظهر فيها. و نشير ههنا إلى أنّنا اكتفينا من أعمال الأستاذ المهيري بأثر واحد، وأنّ ما استخرجناه من هذا الأثر ما هو إلاّ عيّنات قليلة أردنا بها مجرّد التمثيل.

- **و يمكن أن نعتبر** أنّ ذلك يمثّل تمهيدا 29

- و لذا **يمكن أن نقول** إنّ دراستها 29

- **و هذا ما يستفاد من** قوله 29

- **و يدلّ على ذلك** أيضا أنّه -**حسب ما نعلم**- أوّل من استعمل 30

- **من البديهيّ أنّ** تناول الأصوات بالبحث يفترض أنّه 30

- **و الواقع** أنّنا لا نجد في التراث وصفا مباشرا 30

- **و يمكن أن نستنتج** ممّا ورد 30

- **يمكن إذن أن نعتبر** 31

- **و الذي يلفت الانتباه** هو 32

- **و تسترعي الانتباه** أيضا دقّة الملاحظة 33

- **و أهمّ** حجّة اعتمدت لذلك 35

- **و يبدو للناظر** في ما تراكم من مادّة 35

- **و بالنظر إلى** كلّ هذا **يجوز لنا اعتبار** أنّ هذه الدراسة 36

- **و من أهمّ** المآخذ 39

- **و الذي يسترعي الانتباه** في المفهوم الأوّل 41

- **لعلّ** النحاة أدركوا ذلك 42

- **إنّ هذا الاعتبار** ينفي ...() و يقتضي 44

- **و يؤدّي النظر** من هذه الوجهة إلى 44

- **و مجمل القول** أنّنا نجد في التراث النحويّ 47

- **و ممّا يمكن اعتباره** إيجابيّا من منظور لغويّ 47

- لم يتجاوز-**حسب ما نعرف من آرائهم**- الاعتبارات النظريّة52

- فابن عصفور **مثلا** يقول 52

- **و لعلّ** ابن عصفور هو **من أبرز** من قام 53

- **و تجدر الملاحظة** بأنّ الكثير من الأمثلة (...) **يمكن اعتبارها** من غريب اللّغة، أو **ربّما** من الدخيل **ممّا يدلّ على** أنّ الصيغ المعنيّة ليست لها أهمّية **ذات بال** في نظام رصيدها. و من ناحية أخرى **يستنتج من** هذا الجدول أنّ إمكانيّات الرباعي و الخماسي **لا تكاد تذكر** 55

- و يضيف إليها النحاة **أحيانا** سبع صيغ أخرى 55-56

- لكنّ تقنينها يبقى **نسبيّا** 59

- معنى هذا أنّ **جانبا هامّا** ممّا ينتمي **مبدئيّا** إلى اللّغة يُؤخذ بالقياس 58

- **قد تبدو** صيغة المصدر 60

- **و أوّل ما يسترعي الانتباه** أنّه ليس لكلّ فعل في اللّغة صيغة "محايدة"-**إن جاز التعبير**-تمكّن من تعيينه دون الالتجاء إلى إحدى صيغه المتصرّفة 60

- **و تجدر الملاحظة** أنّ علاقة الفعل بالمصدر كانت60

- **و مهما كان حظّ** موقف الكوفيّين من الوجاهة فإنّه -**حسب ما نعلم**- لم يفض إلى 64-65

- **و ممّا يسمح بهذا الافتراض** حديثهم 65

- **و ليس من قبيل المبالغة** إذا قلنا إنّ البحث 71

- و يعتمد **أساسا** لتعليل بنية بعض المصادر 74

- و قد صاغ النحاة مجموعة من المصادر **يمكن اعتبارها من ناحية** وصفا لما يفترضونه من تغيير 74

- **و من أكثر ما** يلتجأ إليه من هذه القواعد 74

- و علّة هذه التغييرات هي في **الغالب** البحث عن الخفّة 75

- لذا تراه **كأنّه** يبحث عمّا يدعّم هذه العلّة 75

- **و ممّا قد** يدعّم هذا التصوّر أنّ أبنية 76

- بل إنّ وجود (...) **مثلا قد يبعث على الظنّ** بأنّ المتكلّمين 76

- **و هذا ما جعل** أحد النحاة يقف عند هذا الموضوع 76

- **و من المفيد** نقل بعض ما جاء فيه-و إن طال- لإدراك وضوح الموقف الذي يعبّر عنه صاحب الخصائص 76

- **و قد يبدو** هذا الموقف غريبا 77

- **لعلّ السبب في ذلك** يرجع **من ناحية** إلى المنهج 77

- **فليس غريبا** إذن أنّه لا يدور بخلد النحويّ أنّه **يمكن أن** تكون الأصول 79

- **و من طريف التعليل** ما يتمثّل في المقارنة بين أصناف مختلفة من الكلمات 80

- **يتجلّى من كلّ هذا** أنّ تعليل بنية الكلمة 82

- إذ يفضي- إلى قوانين **من شأنها أن** تعين المتكلّم على تصريف الكلمات المعنيّة، و تعليل **يمكن اعتباره** عناصر لتصوّر عامّ للنظام الصرفيّ، أو **على الأقلّ** لبعض مقوّمات النظام الصرفيّ 82

- **و يبدو لنا من المفيد أن** ننظر على سبيل المثال في طريقة بحثهم في قسم من هذين القسمين أو **بالأحرى** في بعض مكوّنات أحدهما 83

- **فالذي يلفت الانتباه** أنّ النحاة 83

- **و معلوم أنّ** حركة الحرف الأخير من الكلمة عامّة و الفعل خاصّة 84

- **و من الطبيعيّ** أن يتساءل الباحث 85

- **و الجدير بالملاحظة أنّ** حركة عين الفعل 85

- **لعلّ** الجواب عن هذا التساؤل يكمن خاصّة في أنّ الأفعال 85

- لكنّ التساؤل **يبدو أمرا بديهيّا** بالنسبة إلى الأفعال 85

- لكن رغم هذا **يمكن القول** بأنّه يوجد في عمل سيبويه **ما يسمح** بالتمييز إجمالا بين صيغتي فعَل و فعُل 86

- **و لا بدّ من التنبيه** هنا إلى أنّ ما نذهب إليه في شأن ما ورد في كتاب سيبويه نتيجة تأويلنا لمعطيات متفرّقة متباينة **لا تخلو أحيانا** ممّا يؤيّد الرأي المخالف. **و ليس هذا بالأمر الغريب** لما يتّسم به الكتاب **أحيانا** من النزعة إلى الوصف المستوعب لشتات الاستعمالات: **ما يبدو منها** منتظما مطّردا و **ما يبدو** مستعصيا عن كلّ تصنيف و تقعيد. 87

- فالصيغة التي **بدت أشدّ** استعصاء عن التقنين هي 87

- **و يبدو البتّ** في شأن المضموم العين يسيرا 88

- **و في ذلك ما يكفي** للتمييز بين معانيها 90

- **بعبارة أخرى يُستبعد أن** يكون لحركة العين وظيفة تمييزيّة حاسمة 90

- و تأتي الدراسات الحديثة مؤيّدة لما ذهب إليه النحاة قديما. **فممّا يُستنتج من** دراسة الأفعال في القرآن يتبيّن أنّه يوجد 95

- و أنّ تحليل النحاة له **لا يخلو** من وجاهة 96

- فقد ذهب بعض النحاة-**حسب ما يستفاد من كتاب شرح المفصّل**- " أنّ الأصل..." 96

- **هذا ما تدعو إلى الذهاب إليه** أحكام اللّغويّين و النحاة 97

- **و لعلّ أبلغ ما يدلّ على** استعصاء هذه الظاهرة عن الضبط و التقنين 98

- إنّ دراسة النحاة (...) **يمكن اعتبارها** نموذجا لدراسة ظاهرة لغويّة متشعّبة **يتجلّى فيها** حرصهم على (...) و على محاولة (...) **و تسمح بالتقعيد، كما يتجلّى فيها** اعترافهم بأنّ 98-99

- **و من الطبيعيّ** نظرا إلى الصبغة النظاميّة لطرق الزيادة و وسائلها أن يبحث الدارس عن نظام ما تفيده من معان. **بل قد يبدو منطقيّا أن** تتنوّع المعاني 103

- **و لعلّه من أهمّ ما يسترعي الانتباه** حرص النحاة على 104

- **و يفضي السعي إلى** تحديد معاني الصيغ إلى التعمّق 105

- و رغم أنّه يقرّ أنّه لا يخضع للقياس (...) فإنّه **يحاول** تقنين **أقصى ما يمكن** تقنينه 106

- **و يفترض هذا العمل أن** تكون كلمات اللّغة تعرض على المتكلّم لا كمادّة خام-**إن جاز التعبير**- أي عارية من كلّ سمة نحويّة 109

- لكن **ما يحملنا على** عدم اعتبار هذه الحدّة دليلا على 110

- و يشير الزجاجيّ (...) إشارة **يستفاد منها** أنّه لا 111

- و قد عبّر ابن الخشّاب **بأكثر وضوح** عن موقف مماثل لموقف الزجاجي 112

- لكن **قد تفسّر** صياغته بأنّه لم يتسنّ بعد بلوغ درجة من التدريج 114

- **و نميل إلى الاعتقاد** أنّها-خلافا لما ذهب إليه الزجاجيّ في تعليقه على حدّ الأخفش- تمثّل سعيا إلى 115

- **و لا نظنّ أنّ** التمييز بين ما هو 115

- **و على كلٍّ** يمكن تلخيص ما نسمّيه مناهج التحديد الثلاثة 115

- لا نجد في الواقع صيغا جامعة لكلّ العلامات التي **يمكن أن** يقترن بها 116

- **كثيرا ما يعتبر أنّ** هذا التنوّع في الحدود يمثّل 117

- و رغم أنّ العكبريّ يتناول الموضوع في كتاب خصّص **مبدئيّا** لعرض المسائل 117

- لذا **يمكن أن نقول** إنّ منهج تعريف الأقسام الثلاثة مرّ-**إن جاز التعبير**- بفترة مخاض 120

- **و لعلّ هذا راجع إلى** أنّ هذا القسم من الكلام أشدّ الأقسام استعصاء عن التعريف لأنّه ينتمي إلى النحو **أكثر ممّا ينتمي إلى** المعجم. **و نريد أن نقف هنا خاصّة** على منهج تحديده بالمعنى. 120

- **هذا ما يلاحظ خاصّة** في قسم الأسماء **حسب ما يمكن أن يستنتج** من عمل الزمخشريّ في كتابه المفصّل و ابن يعيش في شرحه له. 123

- **و يمكن أن نعتبر أنّ** مدلول هذا المصطلح هو نفس المدلول الذي يفيده **ما يمكن** ترجمته بالاسم العامّ في أنحاء لغات أخرى 123

- **و الواقع أنّ** تنوّعها و اختلاف دورها في الإعراب حالا-**حسب ما يبدو**- دون تصنيفها على أساس مقاييس متناسقة 128-129

- **عندما** نرجع إلى كتاب سيبويه أقدم وثيقة نحويّة لدينا **يبدو لنا أنّ** مفهوم الجملة مسكوت عنه تحديدا و مصطلحا. **فيذهب بنا الظنّ إلى** 132

- لكن هذا **لا يعني حتما** أنّ المصطلح 134

- **و ليس من المستبعد** أنّه لم يمض وقت طويل 134

- **بالاعتماد على هذا** فإنّ شرط الإفادة ليس 139

- **يتّضح من هذا** أنّ تقييم منهج النحاة ينبغي أن 145

- **يتبيّن ممّا سلف** أنّ الجملة هـي **أساسا ما يمكـن أن** نسـمّيه بالعقـدة الإسناديّة أو النواة الإسناديّة 147

- **و ممّا يدلّ على ذلك ما يمكن أن نعتبره** تطابقـا بـين المجموعـات و الأحكام الإعرابيّة 148

- على أنّ التناقض **يبدو ظاهريّا** إذا ما اعتبرنا 149

- هكذا **يتجلّى ممّا سبق** أنّ للنحاة تصوّرا شاملا 150

- و لذا **يجوز لنا أن نذهب إلى** أنّ الاعتبارات المعنويّة كانت ماثلـة أمام أعينهم في التصنيف و التحليل 154

- **من شأنها أن** تبعث على الظنّ بأنّ أهمّ ما شغل بال النحاة 154

- **ينتج من كلّ هذا** أنّ مفهوم العمل 156

- يمكن **أن نستنتج ممّا تقدّم** أنّ العمل الذي قام به النحاة 157

- **يمكن الإجابة** عن هذا السؤال إجمالا بأنّ منطلق النحاة 159

- على أنّه **لا بدّ أن نلاحظ أنّ** عددا من المركّبات الإسناديّة 160

- و لذا **يجوز أن نقول** إنّ الإضـافة هـي إدخـال الاسـم و الاسـم في علاقة معنويّة 165- 166

- **من كلّ هذا يتبيّن أنّ** اعتماد المعنى 168

- ففي **بعض الحالات** يكتفي بالإشارة إليه 170

- **و ممّا ينبغي إبرازه** في خاتمة هذا الفصل 171

- لكن **من الجائز أن** يتساءل المرء عن سبب ترتيب الوظائف في الجملة 172

- **و إذا** تجاوزنا هذا التصوّر العامّ (...) **لاحظنا** سعيا حثيثا إلى 174

- إنّ اعتبار حروف المدّ ساكنة يرجع **حسب ما نرى** إلى اعتبارها حروفا 180

- **و لا يخلو** مصطلح الصفة بدوره من ازدواج الاستعمال 182

- **هل يمكن في نهاية هذا البحث** التأليف بين مختلف العناصر التي **بدت لنا** في كلّ باب من أبوابه معبّرة عن 187

- و لئن كنّا **لا ندّعي** أنّنا استوعبنا (...) **فإنّنا نرجو أن** نكون قد أبرزنا **بعض ملامحها على الأقلّ** 187

- على أنّه يمكن **بصفة عامّة** أن نشير إلى **ما يمكن اعتباره** ثوابت في مشاغل النحاة 187

- ذلك **جليّ في** كتاب سيبويه، و **يتجلّى أيضا** في بحث خلفه 188

- **و على هذا الأساس يمكن** تلخيص تصوّرهم للجملة في 189

- هذه **بعض** الملاحظات حول (...) و لم نتعرّض لناحية منهجيّة **يمكن اعتبارها** من (...) و هذه الطريقة **تنمّ في نهاية الأمر على** (...) **كما تنمّ عن** سعيهم إلى السيطرة على الكلمة 191